روايات غادة

ايفا بتشمبرلين

جراح الأحلام

WWW.REWITY.COM
مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

غـــادة

جـراح الأحـلام

ايتا تشمبرلين

كم كان سهلاً ان تقع كارولين ماكولي في الفخ الذي نصبته بنفسها.. لقاءها من جديد مع أيان فيتزوري، كانت تظن ان بامكانها التعامل معه.. ولكنها مع كل يوم كانت تحس بعجزها اكثر.. ويبعده عنها اكثر.. ولكن هذا ما كانت تريده، ما أملت به، ومع ذلك فقد تركها هذا قلقة ومحطمة الاعصاب.

بالنسبة له انها خطيبة اخيه من امه جاك كورتيس.. وبما انه فاقد الذاكرة اثر حادثته التي تعرف عنها جيداً، فان اي عمل تحت تأثير مشاعر ظنتها منسية قد تؤدي الى فقدان توازن هذا الواقع فهي من ستقع الملامة عليها وليس ايان.

- ١ -

خلال الرحلة، كان جاك صامتاً بشكل غير طبيعي. وبينما كان المحيط تحت الطائرة الجبارة يتغير من الفضي الرمادي الى الازرق الاخضر التركوازي، كان لدى كارولين الكثير من الوقت لاعادة تفحص مشاعرها. فهي لم تكن تستخدم جاك كوسيلة للانتقام كما أقنعت نفسها، بل انها حقاً تهتم بأمره. وعذرها الوحيد للقبول بهذه الرحلة ما هو عادي جداً في رغبتها في رؤية موطنه ومقابلة والدته. ومهما قد تقول لها اليان فهي انما تحاول ان تجد السعادة التي حرمت منها منذ زمن طويل. وجاك يعرف انه كان في حياتها رجل آخر ولكنه لا يعرف هويته. انها مقامرة بالطبع، ولكن عليها المخاطرة فقد لا يجرؤ أيان على فضح أمرها فهذا قد يعني الفضيحة لأخيه جاك كذلك وعلى هذا الاساس أحست كارولين ببعض الثقة.

ومع ذلك فقد تذكرت كلام شقيقتها المصدومة لمعرفة من هو جاك:

«اذن انت ذاهبة الى برمودا لرؤية إيان فيتزوري ثانية اوه كارولين كيف يمكنك هذا؟ الم يذلك بما فيه الكفاية؟ ومن أنت.. هل انت واحدة ممن يحب العقاب للآخرين؟».

بالطبع لا فهذا أمر سخيف. انت تعلمين انني اهتم بجاك ولكنني سأذهب معه الى برمودا لرؤية أمه.. وما كان بيني وبين إيان قد انتهى» قالت كارولين.

«ومع ذلك فأنت ذاهبة لغزو منزله برمودا موطنه اليس كذلك؟».

«هذا صحيح لقد ذهب ليعيش هناك، بعد آه.. بعد الحادث».

«كارولين غيري فكرك. لا تذهبي. هذه الرحلة ليست جيدة لك. لقد شفيت من الصدمة الآن.. ولكنني أحس من داخل عظامي انك تلعبين بالنار. اعط نفسك المزيد من الوقت للتفكير.. لا تخاطري بكل شيء مجدداً».

«لقد كدنا نصل يا حبيبتي!».

صوت جاك قرب اذنها وانفاسه على وجهها جعلها تعود الى الحاضر، فاستعادت توازن مشاعرها، لتتذكر انها لم تعد وحيدة، ولتعود الثقة بحبه... وعليها الآن ان تستعد للقاء عائلته. واضاف:

«تبدو عليك اللهفة والتوتر لا حاجة لك لهذا.. والدتي ستحبك. كذلك أيان.. حسناً ستتحدث عن أيان الليلة».

«الليلة؟».

«انت تعلمين اننا سنقضي الليلة في ناسو عاصمة الباهاما».

«لماذا، يجب ان نتحدث عن اخيك النصف شقيق؟».

«كنت أفكر بطريقة لأشرح امره لك حسناً أيان منطو على نفسه وليس من السهل دائماً التساهل مع مزاجه».

«حقاً؟».

«حقاً».

«أتعني انه مغرور بنفسه؟».

«اللعنة.. لا! لا يمكن لأحد تسمية أخي بالمغرور ولكنه قد يصبح فظاً.. متجاهلاً.. بارد الدم، ومتوحش الطباع. انه حسناً انه لا يفكر كثيراً بما يقوله.. لم يكن هكذا من قبل. اعني انه لم يعاني من قبل.. ولكن منذ الحادث..».

فشهقت كارولين باضطراب:

«ظننته تخطى الامر».

فتنهد جاك:

«لقد تخطاه على الاقل قدر استطاعته، او قدر استطاعة اي رجل في كرسي للمقعدين».

«كرسي للمقعدين؟ وهل إيان مقعد؟».

«لا تذكري هذه الكلمة أمامه.. ارجوك يا حبيبتي. انه ليس بالمقعد او هكذا يظن.. يقول انه.. غير مؤهل».

واحست كارولين بالدماء تجف من عروقها.. ومع ذلك فلم تتمكن من التفكير السوي بالرجل الذي برزت صورته امام عينيها.. أيان في كرسي متحرك! ايان.. لا يستطيع استخدام ساقيه! أيان الذي كان يحب السير والركض والسباحة والقيادة!.

«اعلم ان الامر لم يكن معروفاً لذلك اردت تحذيرك.. انها

فكرته على كل الاحوال فهو لا يطيق الشفقة مطلقاً وبامكانك تصور ردة الفعل في كل أنحاء العالم اذا عرف أن أيان فيتزوري قد اقعده حادث سيارة. لهذا جاء الى برمودا واشترى المنزل هناك. ولهذا تخلى عن صورته العالمية وليس لانه يريد تخصيص كل وقته للرسم».

جلست كارولين صامتة فاستدار نحوها وقطب لرؤية وجهها الشاحب:

«هاي لا حاجة لك لأن تشعري بهذا السوء يا حبيبتي. اعرف انك معجبة به وبفنه، فالحادث لم يؤثر على عمله. وهذا هو الا... اليس كذلك؟ لقد شاهدت آخر معرض له، موهبته لا زالت عظيمة كما كانت».

«الامر.. انا.. انت.. كان يجب ان تقول لي من قبل. انا لست ادري ما أقول».

«وهل هذا مهم؟ لا علاقة للأمر بنا! فأنا لم ارغب في.. حسناً.. ان يكون لك شيء تندمين لأجله».

«أندم؟».

«اجل عندما ترينه لاول مرة في كرسي متحرك. لا اريد جرح مشاعرك فهو شديد السخرية بالناس الذين يظهرون أي اشارة للشفقة!».

«ايمكن ان يكون هكذا؟».

لو انها عرفت هذا قبل سفرها، لما وافقت مطلقاً ان تجيء. ولكن الخبر الآن لم يغير اي شيء، على الاقل بالنسبة لها ولجاك. ومع اعترافها بأن حبها لأيان قد مات منذ ثلاث سنوات فوق سرير العمليات إلا انها كانت تكره اثارة احاسيس قد لا

تسبب له سوى المرارة. لم يعد بحالة صالحة!.

وسمعته يتابع:

«اعتقد ان حادثته حصلت حوالي الوقت الذي تعارفنا به.. وفي ذلك الوقت لم تكوني في حالة تسمح لك أن تتذكري هموم الناس. ولكن هناك عزاء وحيد، الحادثة قربته ثانية من والدتي ووالدته. قبل الحادثة لم يكونا متفقان! وهكذا.. اخبرتك ولم يكن الامر سهلاً في تدمير منالك».

كان الفندق في ناسو مريحاً مكيفاً. ولم تعترض كارولين عندما اقترح عليها جاك ان يرتاحا لساعتين قبل العشاء.. فقد كانت رحلتهما طويلة والامسية في الكاريبي كانت في اولها، فهناك فارق ساعتان بين كندا وهذه المنطقة الاستوائية.

منذ علاقتها بأيان وتأثير ماحدث عليها، وجدت صعوبة لا تصدق في أن تستجيب مع اي رجل. وبوصف جاك طبيب، فقد كان يعلم سبب رفضها أية علاقة معه، لذا بقيا صديقين.

اخذ ما قاله لها جاك يدور ويدور في رأسها الى ان احست بالدوار مع تشابك في أفكارها.

«الا تستطيعين النوم؟».

وقطع حبل افكارها صوت جاك القلق عليها. فاستدارت نحوه تحس الذنب. وتابع جاك كلامه:

«انه دوار الطائرة. اليس كذلك؟ من الصعب التعود عليه. تحسين بالتعب مع احساسك بأنك لا يجب ان تكوني متعبة. اليس هذا صحيحا؟ شخصياً اجد الطقس هنا يدفعني للنعاس، ولا اجد اي صعوبة في التكيف مع تغير الوقت».

«هذا من حسن حظك».

التفكير الغد والوصول الى برمودا ولقاء أيان ثانية مع مواجهة كرب حالته احست به وكأنه سيف مسلط على رقبتها.

ودس جاك ذراعه حول خصرها وجذبها اليه.. ولكن كالعادة ذعرت كارولين للمسة يديه المتملكة. فصاحت بحدة:

«اوه.. ليس الآن جاك.. انا اريد ان آخذ دوشاً واغير ثيابي استعداداً للعشاء فهل تمانع؟».

«هل هناك شيء خاطيء؟».

«لدي صداع منذ نزلنا من الطائرة. آسفة اذا كنت رفيقة مزعجة ولكنني حقاً احس بالالم».

«ولماذا لم تقولي هذا؟».

«هاك تناولي هذين القرصين سيشفيان الم رأسك.. سألقاك في المقهى بعد نصف ساعة».

وشكرته على لطفه.. وقبل ان يتركها تمتمت:

«أتعلم انا لا استحقك».

الطائرة الصغيرة ذات المحركين اقتربت من مطار هاملتون حوالي الساعة الحادية عشرة في الصباح التالي. وهي تدور فوق الجزيرة، اخذ جاك يشير الى الاماكن الهامة فوقها والى الجزر المنتشر حولها، واشار عبر النافذة الى شبه جزيرة منعزلة حيث موقع ڤيلا شقيقه. واخذ يشاركه الاعجاب ببحيرة عميقة خضراء المياه في مكان ليس بعيد عن الڤيلا:

«الموقع كله محاط بالصخور العالية التي توفر سداً ضد المتطفلين.. وليس لها سوى ممر واحد عبر تلك الصخور، وآخر صنعه إيان عبر تفجير الصخور باتجاه البحر حيث يرسو يخته.. وغير هذا.. لا شيء».

«كم شخصاً يعيش في شبه الجزيرة؟» سألته كارولين.

«دعيني ارى هناك كاترين، ودايڤد، وهما زوجان.. ويعيشان بالڤيلا.. كاترين تطبخ وتنظف بينما يعتني دايڤد بالحديقة وتشرف عليهما امي بالطبع».

«و.. هذا كل شيء؟».

«لا فهناك ولدان لهما في المكان. واظن ان ابنهما الاكبر متزوج ويعيش مع زوجته قرب ميناء الجزيرة ليعتني باليخت. ثم هناك جيفري درايدن الذي اشترى إيان الجزيرة والڤيلا منه وهو يعيش مع ابنته دون مقابل».

«الا تحبهما؟».

«لا احب جيفري.. انه طفيلي دائما يدعى العجز المالي ويعتمد على اعالة أيان له اكثر من اللازم. اما ايڤا فهي مختلفة ولا بأس بها فتاة طيبة، وغالباً ما تقضي وقتها في الڤيلا.. امي تحبها وانا اعرف انها تجيء الى الڤيلا لاسباب اخرى. ولكن ما العمل وأيان شخصية محبوبة».

وحطت الطائرة.. فتقدم جاك ليعرف كارولين على الطيار روبرت تاكري، قائلاً انه وايان يملكان الطائرة مناصفة.. واكمل:

«انه مشروع عمل صغير انهما يملكان ستة من نوع أصغر على الاقل. ويؤجرانها لرحلات حول الجزر. وقد تندهشي كم من الناس يتمتعوا بمشاهدة الجزر من الجو انها تزيد عن ثلاثمائة جزيرة، ولكن ما هو لنا منها لا يزيد عن خمسة وعشرين».

«جاك!».

النداء العاطفي باسمه، يرافقه رؤية سيدة انيقة تترجل من سيارة بيضاء، شد انتباه كارولين، لا بد ان هذه هي امه، وتنفست

الصعداء عندما لاحظت ان الراكب الآخر كان اسوداً.

وترك جاك نفسه لعناق حار مع المرأة ومن فوق كتفه التقت عينا كارولين بعيني المرأة التي هجرت ولدها الاكبر عندما لم يكن قد تجاوز السبع سنوات. تركت منزلها، وعائلتها، وهربت مع رجل عمره ضعفي عمرها، وهذا هو ما خلق ذلك الشق بينها وبين أيان. جاك هو ابنها من زوجها الثاني والده متوفي الآن، بعد نوبة قلبية عندما كان جاك في الثامنة عشرة من عمره، كما اخبرها. اما والد ايان فقد انتحر بشنق نفسه بعد اسبوع من الطلاق. وتربى أيان على يد سلسلة من المربيات تحت اشراف عمته. ولم تحاول امه مطلقاً ان تراه. ولم تبدأ بارسال الرسائل له الا بعد ان اصبح شهيراً رسائل كان يمزقها فور وصولها، كما تعلم كارولين جيداً.. الى ان حصل الحادث...

واخيراً حرر جاك نفسه من ذراعي امه وجر كارولين الى الامام وبفخر ظاهر قدمها الى امه. ولف ذراعه على كتفيها قائلاً:

«اليست جميلة؟ لقد قلت لك هذا. الا تظنين انني رجل محظوظ؟».

واخذت الام تتفحص كارولين بعينين باردتين. وبدت تشبه جاك اكثر من ايان نظراتها السوداء من عينيها البنية وحدها ذكرت كارولين بأيان».

«مسرورة لرؤيتك يا كارولين».

ومدت يدها فأمسكت كارولين بها:

«لطف منك دعوتي الى هنا. انتم تعيشون في جزء جميل جداً من العالم».

«اوه يجب شكر ولدي على الدعوة».

ونظرت الى جاك وقالت:

«لقد شكرته على هذا بالطبع».

فسارعت الام الى القول:

«اعني أيان بالطبع. فالمكان ملك له وليس لنا. وهو من عرض الدعوة».

وكانت ضربة موجعة، ولكن لم يبدو ان السيدة كورتيس تدرك مغزاها. فلو لم يقل لها ايان قصتهما فكيف ستعرف؟ ولكن هناك شيء ما في كلامها لم تستطع كارولين فهمه.

واشارت السيدة كورتيس الى السيارة. المسافة بين المطار وشبه الجزيرة اعطت كارولين متسعاً من الوقت لتعيد بعض التفكير في الواقع.. أيان هو من قدم الدعوة، وهذا ما يتطلب قليلاً من التكيف مع الفكرة. ولم تستطع الا ان تفكر كيف سيتصرف أمامها. وتصاعدت الطريق ملتوية من طريق المطار باتجاه التلال التي تشكل هيكل الجزيرة العام. من فوق التل استطاعت ان ترى اميالاً ممتدة من الرمال حتى ما لا نهاية له. امواج المحيط وحدها هي الدخيلة على الشاطيء. جانب التل مغطى بالاشجار والشجيرات الصغيرة المزهرة. وانتزع جاك زهرة مانوليا من على شجيرة ووضعها خلف اذن كارولين. وشاركته ضحكته للحظات. ثم التقت بنظرة امه فصمتت.

واخذ جاك يتحدث الى امه ليسألها عن حال ايان وشلله وبدت السيدة كورتيس متشائمة بشكل لا لزوم له حول حالته:

«انه يقول انه بخير. ولكنك تعلم كم هو مستقل. ولدي رأيي الخاص واعرف ما يقوله الاطباء ولكنه موضوع أنصحك بعدم فتحه معه.. على الاقل.. ليس امام غريب!».

تطلعت الى كارولين فسارع جاك ليقول:

«ولكن هل ساءت حالته؟».

«لولا فقدان الذاكرة لقلت انه عاد الى سابق عافيته».

وعندما التفتت كارولين بسرعة نحوها، كانت ابتسامة ساخرة تتراقص عند اطراف فمها وسألتها:

«الم يخبرك جاك يا عزيزتي؟ ايان لا يزال يعاني ظلاماً كاملاً فوق كل ما حدث له بعد الحادثة فوراً. لقد فقد من ذاكرته ستة اشهر كاملة لا يذكرها مطلقاً اليس هذا بالامر المؤسف؟».

كانت الڤيلا تحتل ارضاً واسعة داخلة في البحر الى الجانب الشمالي الغربي من الجزيرة، فوق ميناء مصطنع. والسيارة تهبط بهم من قمة التلة الى مستوى البحر مرة اخرى، شاهدت كارولين قمة سقفها الاخضر، وعلمت انها أكبر بكثير مما خمنته عندما شاهدتها من الطائرة.

كانت واسعة المباني، مبنية على مستويات مختلفة من الصخور تشبه الطراز الاسباني، وفيها بركة سباحة ضخمة. جدرانها ملونة بالالوان الفاتحة تتعربش عليها النباتات المختلفة ذات الازهار الجميلة. وهم يقتربون منها شاهدت المصارع الخشبية البيضاء للنوافذ. والباحة المقنطرة تحت الشرفة انها دون شك أجمل منزل شاهدته في حياتها. ولكنها نظراً لظرفها أحست بالارتباك. كما ان علمها بأن والدة جاك ليست بالمرأة البسيطة التي صورها لها جاك...

عندما دخلا الفناء الخارجي للڤيلا أشار جاك الى البحر:

«انه «المارمايد» اي عروس البحر، جميل اليس كذلك؟».

«انه يخت أيان؟».

«بنفسه.. هل تحبين الابحار؟».

وتوقفت السيارة، وتجنبت كارولين النظر الى امه وهي تنزل من لسيارة.. واجابته:

«ربما ولكنه ليس كما توقعته».

وسألها صوت منخفض من مكان ما وراءها:

«وماذا كنت تتوقعين آنسة ماكولي؟».

وجمدت كل حواسها لسماع الصوت الذي تابع:

«هل كنت تتوقعين «لنش»، ربما؟ شيء أستطيع السيطرة عليه بيدي؟ ام أنا غير لطيف معك وانت لم تقصدي الاساءة؟».

فصاح جاك بنفاذ صبر وحماس معاً:

«أيان!».

واستدار ليواجه الكرسي المتحرك الذي تقدم بها الرجل الجالس فوقها بصمت وراءهما. وصافحه.. معطياً بهذا دون علم منه الوقت الكافي لكارولين كي تستعيد رشدها.. كانت تتوقع الصدمة وتوقعت رد الفعل، ولكن ما من شيء كان قد حضرها للأحاسيس المدمرة التي اجتاحتها وهي تلتقي بهذه القسمات المألوفة لها.

لم يتغير.. او على الاقل ليس كثيراً. ربما اصبح اكثر نحولاً.. وهناك مسحات من الشيب في شعره الاسود كالليل. والذي يصل الى ياقة قميصه. ولكن قسماته كانت لا تزال تمتلك بكل التركيبة الجذابة واخذ ينظر اليها نظرة تقييم ظاهرة. ولكن دون اي دليل للمعرفة في تلك النظرات الباردة. كان ينظر اليها نظرة رجل الى الفتاة التي من المتوقع ان تتزوج أخاه واحست ان هذا هو الأكثر قساوة مما توقعته.

اوه يا الهي! انا من فعل هذا به وهو حتى لا يذكرني!.

وقال جاك:

«دعني اقدمكما. هذا كما لا بد خمنت هي كارولين.. كارولين دعيني اقدمك الى فنانك المفضل إيان فيتزوري!».

فرد أيان بخشونة:

«رسام يا جاك. كيف حالك آنسة ماكولي؟ يجب ان تسامحيني لعدم وقوفي. لم يعد وقوفي سهلاً كما كان».

«كيف.. كيف حالك؟».

وقاطعهما جاك:

«نادها كارولين. ستكون زوجة اخيك، اي اختك يا أيان الا توافق عليها؟».

«كثيراً وهي رائعة، ليس اقل اخبريني آنسة أعني كارولين، هل انت خبيرة فن؟».

«انا.. انا اعرف فقط.. ما يعجبني».

وتقدمت السيدة كورتيس بكل سلطوية لتتولى زمام كرسي أيان. وقالت:

«هيا بنا. كلنا سنستفيد من بعض الشراب.. دايفد.. قل لكاترين ان تحضر لنا ليموناضة مثلجة الى الشرفة. وقل لها اننا ستتناول الطعام بعد ساعة».

واجاب الرجل الأسود:

«حاضر سيدتي».

حاولت السيدة كورتيس جر الكرسي، الا ان أيان وضع يدها عنه بنفاذ صبر.. وهذه اول اشارة للتوتر تصدر عنه تجاه حالته. ولاحظت كارولين نظرات الشفقة التي تبادلها جاك وامه.. واقلقها

تصرفهما نحوه، ولم تندهش عندما لم يصغ أيان لتعليمات أمه. وقال بلهجة لا تحمل اي غطرسة:

«بامكانك ايصالي الى الشرفة يا دايفد. لقد طلبت من كاترين تحضير المرطبات، لذلك بامكانك ادخال الحقائب».

«حاضر سيدي».

كانت تعابير وجه الام صعبة القراءة وهم يتوجهون نحو المنزل. كان المنزل مبنياً بخطوط اسبانية واكبر مما تصورت عندما شاهدته عن كثب.. وأحست بأن أيان يراقب ردة فعلها ازاء المنزل وقال لها بمرح خجول بعد صرف دايفد:

«اهلاً بك في سوليتير».

وتابع:

«ما رأيك بمنزلي يا كارولين؟ هل من رأيك انه كثير على عاجز مثلي؟».

«أيان!».

«أيان!».

صوتان صاحا في نفس الوقت ليسكتاه ولكن يبدو انه كان ينتظر رد كارولين عليه انه سؤال طبيعي ولو انه غير مريح وجاك كان قد حذرها من نوعية سخريته.

وردت كارولين بحذر وهدوء:

«لا اظنك تؤمن انك عاجز اكثر مما اؤمن انا سيد فيتزوري. إما من احد يمكن له ان يقدر الجمال فتلك يمكن ان ينكر حقه بمكان ومحيط رائع مثل هذا».

«وهل تعرفين انني اقدر الجمال؟ وكيف تعرفين مثل هذا؟».

«اعرف اعمالك سيد فيتزوري.. جاك اخبرك بهذا انا معجبة

جداً بك».

واخذ يصب العصير بنفسه ويفتح الزجاجات ليضيف محتوياتها فوق العصير. وقال:

«ارجوا ان تنضموا الي جميعاً. اظن ان نخبا يجب ان يقال...».

وناول كل منهم كأساً ورفع كأسه:

«الى كل أوقاتنا الجميلة.. لنا جميعاً.. ولكن على الأخص لجاك وكارولين.. حظاً سعيداً!».

- ٢ -

وارتشفت كارولين الشراب اللذيذ المنعش بشفتين مرتجفتين. واخذ الاخوان يتحدثان ويديا على صداقة تامة، فاقترحت السيدة كورتيس على كارولين ان تريها غرفتها. وسمع جاك الامر فأثنى على اقتراح أمه، واضاف:

«ارتدي ثوب السباحة يا حبيبتي. فنحن لن نبقى على الرسميات هنا. وأنا أنوي أن أريك كم أنني بصحة جيدة. وخاصة بعد نجاتي من الطقس البارد في كندا».

فابتسمت كارولين. ووقفت لترافق الام الى الداخل. وقالت السيدة كورتيس:

«غرفة أيان في الطابق الاسفل بالطبع. وهذا اقدم جزء من المنزل ولكن كما ولا بد لاحظتي هناك اضافات عديدة على البناء الأهلي في السنوات الاخيرة».

www.rewity.com مرموزية

«انه جميل».

وبعد لحظة تردد، صعدت والدة جاك امامها السلم. في أعلى السلم شرفة تستدير فوق الردهة السفلية فيها ممرات تتجه في عدة اتجاهات. هذه الممرات جعلت كارولين تؤمن انها لن تستطيع مطلقاً ان تجد طريقها خلالها. ولحقت بالسيدة عبر واحد من الممرات ثم صعوداً ونزولاً فوق سلم صغير غريب اقتنعت كارولين انه مبنى الى سفح تلة. وقادهما باب مقنطر الى جناح نوم واسع يطل على منظر عام للرأس الصخري الداخل الى مياه المحيط. الغرفة كانت مفروشة بألوان الكريم والتركواز.. والى جانبها غرفة ملابس صغيرة، وراءها حمام فاخر بألوان مماثلة لأثاث الغرفة. فتمتمت كارولين:

«لست ادري ما اقول.. انها كاملة.. فقط. شكراً جزيلاً».

«لا تشكريني فكما قلت لك، هذا منزل أيان وليس منزلي».

«أنت.. لا تريديني هنا، سيدة كورتيس. فهل لديك اى اعتراض على صداقتي لجاك؟».

«وهل قلت هذا؟».

«لا ولكن..».

«طالما ان ولداي سعيدان، فأنا قانعة».

ودون ان تترك مجالاً لكارولين للرد تركتها.

سيلزمها وقت طويل جداً لافراغ كل ما في الحقائب. فاكتفت بأن فتحتها فوق السرير لتأخذ منها ما تحتاجه. جاك طلب منها ان ترتدي ثوب السباحة، ولكنها بشكل غريب كرهت ان تعرض جسدها في ثوب بيكيني امام أيان. ولكن هل سيجدها أيان جذابة الآن؟ لو انها التقته الآن كما التقيا من قبل دون روابط او تعقيدات

هل كان سيجدها مرغوبة؟.

وقررت ان ترتدي البيكيني الاصفر انه يترك كتفيها وساقيها عاريين. ولكن سترتدي فوقه روبا يخفي القليل مما يظهر البيكني. ايجاد طريق عودتها الى الشرفة لم يكن صعباً كما تصورت. ولحسن حظها كان جاك يصعد السلم وهي تنزله. وانتظرته في الاعلى ليصل اليها. وهمست له:

«هل ابدو على ما يرام؟».

تمتمة الاعجاب التي صدرت عنه اختنقت عندما احتواها بين ذراعيه ثم قال لها بعد ان تركها:

«اذهبي الى حيث يجلس أخي. لن احرمه من بضعة لحظات في صحبتك. ولكن تذكري انا من لقيتك اولاً.. هه؟».

«سأنتظرك».

«لن اتأخر. ولمعرفتي انك معه لن اضيع وقتي».

في الخارج بدت الشمس اكثر سطوعاً. وتمنت لو احضرت معها نظارتها السوداء. ولكن بما ان أيان لاحظ وجودها، لم تعد تستطيع الاستدارة للعودة الى غرفتها ثانية. فسارت بخطوات مرتبكة الى حيث الكرسي المتحرك، وعلى وجهها، كما كانت تأمل نظرة هادئة.

كان يراقب تقدمها وحياها بحماسة ودودة:

«كارولين! تعالي وانضمي الي.. جاك ذهب ليغير ملابسه ولكنه لن يتأخر».

«لا.. لقد شاهدته.. اليس هذا منظراً عظيماً».

وأشارت الى الميناء والامتداد اللانهائي لمحيط أمامه وأكملت:

«اظن انك لا تسأم ابداً من النظر اليه».

«قد يدهشك ان تلاقي انه عندما يكون المنظر الوحيد الذي ترينه يمكن ان يصبح رتيباً ومملاً قليلاً».

«اوه.. انا لم اقصد.. انني لم أكن انوي التلميح».

«اعرف.. الن تجلسي؟ ام يجب ان تتشنج رقبتي وانا انظر اليك؟».

«آسفة.. لم افكر بهذا. انه يوم جميل اليس كذلك؟ كانت السماء تمطر عندما غادرنا مونريال».

«صحيح؟ ولكن هذا طقس يمكنك الوثوق منه هنا. فلدينا عادة أيام جميلة».

ولاحظت السخرية في صوته، وادركت انها لم تكن ناجحة في محاولة الحديث هذه. لا بد انه ظنها احدى الفتيات التافهات. دون تفكير في رؤسهن عدا آخر الموضات والماكياج.. وهي لم تظهر بالتأكيد اي دليل على الذكاء في حديثها معه حتى الان.

وسألته وقد اختارت الموضوع الذي قد يظهر له عكس رأيه بها

«هل.. هل تعمل داخل المنزل سيد فيتزوري؟».

«يمكنك قول هذا. فلدي مرسم متصل بالمنزل. ولكن لا وصول اليه سوى من الخارج. انه هناك، اذا كنت مهتمة بمعرفة مكانه، واسمي أيان.. يا كارولين، فتوقفي عن مناداتي بالسيد فيتزوري».

«حسناً.. هل تعمل في الوقت الحاضر».

«الآن في هذه اللحظة؟».

وامتلأت عيناه بالمرح.. فتنهدت:

«انت تعرف ما اعني. اعني هل لديك عمل في الوقت الحاضر لا اظن ان هناك مجالاً لرسم الشخصيات هنا».

«تبدين عليمة بأمور الرسم. هل تعرفين الكثير عنه يا كارولين؟ ولا تقولي لي ثانية انك تعرفين ما يعجبك».

لقد اصبح حديثهما يخوض في مياه عميقة وسارعت كارولين الى الخروج نحو الامان:

«لقد كنت أعمل في معرض للفنون».

وندمت على هذا الاقرار فحتى جاك لا يعرف هذا.. وبالنسبة لأيان بدأت تخطوا الى حافة الكارثة.

فتمتم وعيناه تتفحصانها:

«معرض فني؟ اي معرض فني؟ واين؟ في مونريال؟».

«لا في الواقع كان في اوتاوا.. مكان صغير ليس معرضاً ملائماً في الواقع. انه نوع من المعارض الملحقة بالمكتبة العامة».

«حقاً؟».

«ولكنني تخليت عن العمل فيه منذ مدة طويلة. اعمل الآن في شركة تأمين. في تورنتو. أتعرف تورنتو سيد فيتزوري؟».

«اسمي أيان.. كنت اعرف كندا جيداً وكنت أسكن في مونريال ولكن منذ الحادثة..».

فأنهت له كلامه متلهفة لتغيير الموضوع:

«تعيش هنا. انت محظوظ حقاً. لتمكنك من الهرب الى مثل هذه الجنة».

«أهكذا ترينها؟ انها حياة مستوحشة يا كارولين.. وحيدة وغير مرضية».

«كنت اظن ان عملك مرضي».

«انا واثق ان هذا ما تعتقده امي كذلك».

ومد يده الى ابريق العصير الفارغ تقريباً وتابع:

«هل تشاركيني؟».

فهزت رأسها بالرفض فصب ما تبقى في كأسه واخذ يبتسم:

«انها لا تفهم.. فأنا رجل اولاً ثم رسام. واظنها تتوقع ان تنقلب هذه القاعدة».

«وهي بالتأكيد ليست كذلك؟».

«وما تظنين ان الحادثة فعلت بي كارولين؟ انها لم تشل عواطفي او مشاعري! انها لا تزال تعمل كما كانت دوماً».

«انا.. انا آسفة. لم اقصد.. لم..».

واوقف اعتذارها المتلعثم وقع خطوات ترن فوق حجارة الفناء. فصمتت وجاك يتقدم ليرمي منشفته على الكرسي الطويل ويتمدد بارتياح فوقه. وقال وكأنما يحدث نفسه:

«انه السحر.. حسناً كيف اتفقتما؟ يبدو انكما كنتما في حديث عميق عندما وصلت.. ماذا كنت تقول لها عني؟ هل أشم رائحة تعاطف بينكما في الجو؟».

«لا تكن سخيفاً يا جاك!».

فسارع أيان يقول:

«لا تغضبي هكذا.. أخي الصغير.. نحن حتى لم نذكر اسمك!».

وتظاهر جاك بالذعر:

«لم تذكرا اسمي؟ هاي كارولين ماذا يجري بينكما؟ هل كان يأخذ حريته معك من وراء ظهري؟».

«لا.. بالطبع لا..».

وصمتت لترك الامر لأيان ليلقي الضوء على حديثهما:

«كنا نناقش امور عملي. وانت تعرف كم انا مغرور. ولا

أستطيع مقاومة عرض موهبتي أمام مستمع راغب».

فضحك جاك:

«سأصدقك.. ولكن فقط لانني أعرف انها الحقيقة.. هيا بنا كارولين، سأسابقك حول البركة واذا كسبت السباق سأتركك تغرقيني شرط ان تسمحي لي بنفس الشيء».

«لقد قرب وقت الغذاء».

«بامكان الغذاء ان ينتظر. فهل تأتين معي بهدوء ام أحملك؟».

وتراجعت كارولين عنه مذعورة، وادركت ان عليها الذهاب معه.. ولكن ما ان خلعت روبها واستدرات لتغطس في الماء حتى لاحظت مدى تغير تعابير وجه أيان.

احست كارولين بالراحة عندما لم يعد إيان يذكر الحديث الذي دار بينهما. ومر بقية اليوم دون ما يذكر. بعد الظهر، بينما كان إيان يرتاح، أخذها جاك في جولة على الجزيرة في عربة ملونة يجرها جواد قال ان دايفد يستخدمها لجلب المؤنة من الميناء. وبعد العشاء أحست بالتعب فلم تمكث معهم كثيراً على الشرفة، وتمنت لهم ليلة سعيدة وذهبت الى غرفتها لتغفو حال ان لمس رأسها الوسادة.

استيقظت في الصباح التالي في وقت مبكر جداً، فجسدها كان لا يزال معتاداً على التوقيت الكندي. وهكذا خرجت من سريرها قبل السادسة، لتقف على شرفة غرفتها وارتجفت من البرودة التي لم تتوقعها للهواء المشبع بالملح. ولكنه كان منعشاً بشكل لذيذ، وتساءلت ما اذا كان جاك مستيقظاً.

سارعت لارتداء ثيابها وخرجت من الغرفة. لم تشاهد احداً في المنزل.. وتساءلت بالتالي متى تستيقظ كاترين لتقدم الفطار..

وكان جاك قد جال فيها ليلة امس قبل العشاء في غرف الطابق الارضي.. وهي تعرف الآن موقع غرفة الجلوس وغرفة الطعام وطرق الخروج والدخول الى الڤيلا، ولكن اضافة الى هذه الابواب كان هناك ممرات تصل الى المداخل الامامية والخلفية عبر ابواب مقنطرة انيقة.

واتجهت كارولين الى غرفة الزهور، مقررة ان فتح نوافذها لتنشق هواء الحديقة اسهل من فتح الابواب، ولكن لدهشتها، كانت نوافذ الغرفة مفتوحة. وستائرها الحريرية تتطاير بحرية مع الهواء. ومن بركة السباحة سمعت اصوات تحرك المياه.

اذن فجاك مستيقظ، وفتحت باب الشرفة وسارت فوق بلاط الموزاييك الذي يحيط بالبركة، واستطاعت رؤية رأس اسود تحت الماء يسبح بقوة عبر البركة. فخلعت نعليها، ورفعت سيقان بيجامتها وجلست على حافة البركة تغمس قدميها في الماء.

وصعد السابح تحتها تماماً. ولكن كلماتها المداعبة له ماتت على لسانها.. اذ لم يكن السابح جاك.. بل إيان. ورفع يده ليدفع شعره المبلل عن وجهه.. ولم تعرف كارولين من منهما كان اكثر ذهولاً، ولكنه كان الاسرع في استعادة رباطة جأشه. وحياها بأدب، وهو يحافظ على صفوه فوق الماء دون صعوبة:

«كارولين! كيف اصبحت؟ هل نمت جيداً؟».

«اوه.. أجل، شكراً لك.. ولكن الماء باردة».

«ليس بالنسبة لي.. هل جئت للسباحة؟».

«كنت أفكر في هذا. ولكن.. اذا كنت أتطفل عليك..».

«أبداً.. اعطني بضع دقائق لأخرج..».

«وهل هذا ضروري؟ اعني.. لن اعترض طريقك» قالت

مقاطعة.

«ولكن قد اعترض انا طريقك. فهل تمانعين؟ وقد اكون حساساً تجاه من يراقبني.. لو تعطيني الروب فقط.. ولن أتأخر».

ورفعت كارولين ركبتيها الى فوق استعداداً للوقوف:

«إيان.. حقاً.. أرجوك لا تترك الماء بسببي.. سأذهب، اذا شئت. لم اكن انوي مقاطعتك.. أرجوك تابع السباحة وكأنني غير موجودة».

«وهل تظنين هذا امر ممكن؟ لا أظن ان جاك قد يوافق معك».

«ولكنه ليس هنا».

«لا.. انه ليس هنا.. ولكنني أقول لك ان هذا لن يعجبه.. والآن كوني فتاة طيبة وأحضري لي الروب! هه؟».

«في الواقع، أنا سعيدة للقاءك الآن.. كنت أريد الاعتذار. حول ما قلته بالامس.. فأنا لم اعنِ ما بدا انني أعنيه».

وسبح إيان مبتعداً الى جانب البركة وأمسك بالقضيب المعدني المحيط بها وقال:

«لا يهم.. والآن أتسمحي؟ بدأت ابرد».

«اوه..! اوه.. بالطبع».

وقفزت الى قدميها، لتحضر الروب وتنزل السلم الصغير لتعطيه له، فتمكنت من رؤية ما تحت سطح الماء وقالت له دون تفكير:

«دعني أساعدك».

فشاهدت الغضب الاسود في عينيه وقال بإصرار:

«أستطيع تدبير امري بنفسي».

وأخذ الروب من يدها ورماه على حافة البركة:

«ابتعدي من هنا كارولين، واتركيني افعل هذا على طريقتي.. فلست بحاجة لمساعدتك».

«أنا لست مفرضة في الاحتشام. وأحب ان أساعدك. أين هي كرسيك؟ دعني أجيء بها اليك؟ أين هي؟».

«اذهبي من هنا كارولين!».

هذه المرة كان هناك غضب حقيقي في صوته، ونظرت اليه مذهولة:

«لماذا لا تدعني أساعدك؟ لماذا لا تقول لي اين هي كرسيك؟ كيف وصلت الى هنا؟».

وبتنهيدة احباط وغضب أراح جبينه على حافة البركة. ثم قال بصوت مختنق:

«لقد سرت الى هنا على العصي.. ألم يخبرك جاك عن هذا؟ لابد انه فعل. فجاك موسوس حول حالتي».

«لقد قال شيئاً عن هذا.. سأذهب لأستحم.. وأراك فيما بعد».

«لا.. انتظري».

ورفع نفسه على حافة البركة. وجلس كما تجلس هي، وقدماه في الماء. ودهشت لرؤية جسده وساقيه شديدا السمرة من اثر الشمس. وعرفت انه يقضي ساعات طويلة في الشمس. وقال بهدوء:

«انظري.. الافضل ان لا تخبري جاك انك وجدتني هنا. انه لا يعرف.. اعني لا أريده ان يعرف بهذا الى ان أصبح اكثر مهارة. أتفهمين ما أقصد؟».

«أظن هذا. انت تقصد ان جاك لا يعرف انك تستخدم

البركة».

«شيء من هذا. فهل تمانعي في كتم السر؟».

«بالطبع لا. اذا كنت تفضل هذا».

«أفضله.. لا تبدين قلقة هكذا.. لست أخطط لاغراق نفسي».

وذكرتها كلماته بمصير والده التعس فقالت:

«أنا.. لم أفكر انك قد تفعل».

فابتسم وقد أدرك ما مر في ذهنها:

«اوكي.. هذا سرّنا الخاص. هه؟ والآن..».

«أتريدني ان أذهب؟».

«أجل.. أريدك ان تذهبي».

وكان في صوته حدة.. جعلتها تسرع بالفرار من أمامه. ولكنها في عجلتها زلقت قدمها، وبدل ان تضعها فوق الارض القاسية وجدت نفسها في الهواء، ثم في الماء، وغرقت تحت السطح لثقل البنطلون الذي جرّها الى الاسفل.

وسيطر عليها الفزع وحاولت الارتفاع للتنفس، فأحست بيدين ثابتتين تمسكان بها، ويساعدانها في الصعود، ثم تجرانها الى الامان، حيث أخذت تشرق وتبصق الماء المالح الذي دخل الى رئتيها. وكان إيان بالطبع هو من ساعدها. وأخذت بشرتها ترتعش مكان لمساته. والتف ساعده حول خصرها يضمها اليه، وسألها بخشونة:

«هل انت بخير؟».

«آسفة.. انه امر غبي..» ردت مقطوعة الانفاس.

«لا أظنك فعلتيه عن قصد. اليس كذلك؟».

ودفعها الى الاعلى، وعندما أوصلها الى الجانب، جذب نفسه ليجلس قربها، ليتنفس بقوة بدوره. عندما فقط أدركت كم كان الامر قاسياً عليه. ومدت يدها لتشكره، فلامست اصابعها بشرة كتفه الناعمة. وتمتمت.

«لابد انك تعتبرني مزعجة».

«أظن من الافضل لك الذهاب وتغيير هذه الملابس المبتلة».

فسحبت أصابعها عنه وكأنها احترقت. ووقفت على قدميها متأكدة هذه المرة انها لن تخطيء.

وما ان نزلت مرة اخرى حتى كان جاك وأمه جالسان يتناولان الافطار على الشرفة. فناداها وهي تقطع الردهة:

«تعالي وانضمي الينا. ظننتك لن تستيقظي. لقد سبحت في البركة وكانت عظيمة».

«ولكن شعرك مبلل، فهل كنت تسبحين يا عزيزتي؟ ام انا مخطئة» قالت أمه.

كانت تكره الكذب، ولكنها وعدت إيان. فأجابت:

«لقد أخذت دوشاً سيدة كورتيس..».

وسمحت لجاك ان يمد يده ليضغط يدها تحت الطاولة:

«.. وأرجو ان لا تمانعي بجلوسي الى المائدة بشعر مبلل.. فلست أملك مجفف شعر».

وقالت أمه بحدة وفتحات أنفها تتوسع:

«هناك مجففة لليدين في الحمام الأسفل.. وبإمكانك استخدامها متى شئت».

فقال جاك بثبات وهو لا يزال يمسك بيد كارولين تحت الطاولة:

«ولكن ليس الآن.. فأنت تبدين لذيذة هكذا يا حبيبتي.. أتعلمين.. لقد بدأت تكتسبين سمرة الشمس».

«أعلم.. وكذلك انت» قالت باسترخاء.

«اوه.. ولكن جلدي يحمرّ فقط. وليس لدي نوعية البشرة التي تكسب السمرة بسهولة».

وتدخلت أمه:

«هذا لأنك أشقر زيادة يا جاك. وبشرتك حساسة جداً. والبشرة الخشنة هي التي تكسب السمرة».

«مثل بشرتي تعنين يا سيدتي؟» قالت كارولين.

«صحيح.. كنت واثقة انك ستوافقني معي» ردت بأدب.

«هناك طريقة ألطف في قول هذا يا امي. أتمنى ان أصبح اسمر. فالجلد الاسمر.. اجمل بكثير» قال جاك.

«ولكن ليس بالضرورة اكثر صحة، لماذا لا تقرع الجرس لكاترين فأنا متأكدة ان كارولين جائعة» قالت الام بإصرار.

بعد الفطار جلس الجميع حول طاولة زجاجية مستديرة فوق مقاعد على شكل مروحة، حول البركة ومنظر الميناء الصغير والمحيط الازرق يمتد امامهم. وسألت الام ابنها:

«ما هي خططك اليوم يا جاك؟ لقد اخبرت إيفا انك هنا وقالت انها ستحضر هذا الصباح. ولن يكون إيان هنا. مؤخراً يمضي اكثر أيامه يعمل.. وأتمنى ان تدعوها للسباحة معك».

«أمي.. اللعنة! انت تعلمين انني وكارولين ليس لدينا فرصة سوى لاسبوعين! كان بإمكانك سؤالي قبل دفعها للتطفل علينا».

«أنا لم أدفعها للتطفل عليكما.. انها فتاة جميلة. ولا أظن ان من غير المعقول ان أطلب منك قضاء بعض الوقت معها. يا

للسماء.. انها لا تلقى صحبة أبداً! وبدون إيان..».

«لم يطلب احد من أبيها البقاء على الجزيرة. فلو ان جيفري ينتقل للسكن في هاملتون، او الباهاما او حتى في اميركا. فسيكون عمله هذا مفيداً.. ويمكن لايڤا ان تمتزج مع الناس من نفس عمرها طوال الوقت».

«حسناً هذا رأيك الخاص يا جاك» قالت الام بكراهية ونظرت الى كارولين لتشملها بالكراهية، وأضافت:

«كالعادة.. يصعب عليك ان تكون لطيفاً مع ايڤا، مع انك تعرف انني أحبها فعلاً.. وأظنك نسيت كل شيء فعلته لأجلك في الماضي..».

- ٣ -

«اوه.. يا امي!».

«اوه.. لا تهتم.. اعلم ان مشاعري لا تهمك».

«هذا غير صحيح يا امي..».

«بل صحيح.. انت لا تهتم بي بل بنفسك، بمشاعرك، بالاشياء التي تريد ان تفعلها!».

«امي.. ارجوك..».

«لا يهمك انني ضحيت بنفسي كي تذهب انت الى الجامعة.. وأن تحصل على شهادتك.. وتقوم بالتدريب الطبي..».

«امي..!».

وعانقها بقوة ليصمتها، ضاغطاً جسدها النحيل الى جسده وأخذ يربت على ظهرها بنعومة:

«حسناً.. حسناً.. بإمكان ايڤا ان تجيء معنا، اليس كذلك يا كارولين؟».

www.rewity.com مروية

فأدارت وجهها عن هذا المنظر من الاذلال الاخلاقي، وحركت كتفيها باحتقار. ماذا يمكنها ان تقول؟ فلا شيء يمكنه ان يدفعه لتغيير رأيه.

ولاحظ جاك ان هذا النوع من الحديث لا يعجب كارولين فوقف على قدميه مرتبكاً متذرعاً بالتمطي. عمله هذا لم يرض امه وكان هذا واضح ولكنها على ما يبدو قررت انها اظهرت سلطتها عليه بما فيه الكفاية، فوقفت بدورها تبتسم معتذرة، ثم تركتهما.

وعلى الفور جذب جاك كارولين وحضنها بشدة وقال معتذراً:

«آسف على الذي جرى يا حبيبتي.. ولكنك شاهدت كل شيء فماذا كان بامكاني ان أفعل؟».

كان بامكانها ان تقول له ما كان يمكن ان يفعل ولكنها أدركت عقم الجدال معه. اضافة الى ان ايڤا قد تكون فتاة لطيفة، وقد يعيق وجودها أي محاولة حميمة قد يقوم بها جاك نحوها. فهي لا زالت غير مستعدة لالزام نفسها بهذه الطريقة.. وهي تعرف ان الأمور على هذه الجزيرة ستكون صعبة عليها خاصة في ابعاده عنها.

ووصلت ايڤا بعد ما يقارب الربع ساعة، وصعدت السلالم راكضة. صغيرة ونحيلة، وشعرها الاسود يلمع بنعومة تحت اشعة الشمس. وشاهدت جاك مستلقياً على فراش من المطاط مع كارولين قرب البركة فصاحت:

«جاك.. كم أنا سعيدة برؤيتك!».

«ايڤا! سعيد برؤيتك. كيف حالك» قال لها بابتسامة رسمية.

«أنا بخير وأنت تبدو جيداً. امك قلقة عليك. ولكنك تبدو بصحة جيدة».

«أنت تعرفينها دائماً قلقة حول شيء او آخر».

فضحكت ايڤا ثم تحولت عيناها الى كارولين فتذكر جاك ان يقدمهما وقال لكارولين:

«حبيبتي.. اعتقد انني لست بحاجة لتعريفكم ولكنني سأفعل.. هذه ايڤا درايدن جارتنا والوحيدة.. ايضا هذه كارولين ماكولي خطيبتي».

ولمعت عينا كارولين لتعمده الابتعاد عن الحقيقة. ولكنها مع ذلك ابتسمت لايڤا.. فقد احست بالاعجاب بها اكثر مما توقعت. وقالت لها مشيرة الى فراش مطاطي بقربها:

«ألن تجلسي؟ الطقس حار للوقوف بهذا الشكل الرسمي».

وجلست ايڤا وهي تشكرها تبتسم لهما معاً. من الواضح انها لم تضطرب مما سمعته وسألت كارولين:

«اذن كيف تتمتعين باجازتك حتى الآن؟».

«بشكل عظيم فأنا لم ازر الكاريبي من قبل».

«الم تفعلي؟ حسناً.. اظن ان هذا أجمل مكان في العالم».

«أظنك تعرفين هذه الجزر جيداً».

«بشكل معقول. لقد اخذني والدي الى الباهاما وسانت لوسيا.. وأبحرت الى العديد من الجزر الصغيرة في الجذر انا وأيان».

والتصقت جذور لسان كارولين بحلقها.. انا وأيان.. لقد قالتها وكأنها تقول شيئاً عادياً.

وقال جاك شارحاً:

«ايڤا تقوم بدور البحار لأيان احياناً. انها بحارة خبيرة الست هكذا يا ايڤا؟».

وسألتها ايفا:

«هل تحبين الابحار يا كارولين؟».

وعادت افكار كارولين الى حاضرها:

«ماذا.. اوه! لست ادري.. فأنا لست خبيرة بالمراكب».

«مثلي تماماً.. ولكن هل تفكرين بالابحار هذا الصباح يا ايفا؟ ربما تفضلين المجيء معنا الى «كهف الكركند» سأعلم كارولين هناك كيفية الغطس تحت الماء» قال جاك.

«اوه.. هذا عظيم.. ولكنني لن استطيع.. لقد وعدت أيان بمساعدته من اخراج القماش لرسوماته من المخزن».

«هاي.. بامكانك مساعدته في اي وقت» قال جاك.

«لا أستطيع كان يجب ان ننتظر الى ان ينتهي لوحته الاخيرة واذا بدأ بالعمل من جديد..».

«يوم واحد! صباح واحد!» قال جاك مصمماً.

ولكنها كانت مصممة اكثر منه:

«انا متأكدة انك وخطيبتك ستكونا أكثر سعادة من دوني».

وغمزت لكارولين التي ردت عليها نظرتها.

وسألت:

«واين هو أيان على فكرة؟ أتعرفين؟».

«لم نره هذا الصباح» رد جاك.

«اظنه في مرسمه.. ولكن لو كنت أنت لما ازعجته فهو لا يرحب بالمتطفلين».

فقالت ايفا بثقة:

«انا لست متطفلة. سأركما فيما بعد. تمتعا برحلتكما».

وبدأت السير باتجاه مرسم أيان.

وبرحيلها، قام جاك بمحاولة لوضع ذراعيه حول كارولين ولكنها مرة اخرى صدته ووقفت لتذرع الشرفة جيئة وذهابا:

«لماذا قلت لها انني خطيبتك؟ فنحن لم نبحث أمر الزواج مطلقاً ولا أرغب في سماع شيء لا استطيع الرد عليه».

وتنهد جاك ووجدت كارولين نفسها، لسؤ الحظ تقارنه بأخيه الاسمر.. لن يفيد الوضع بشيء لو علم ان نصف غضبها مرده الجو المتألف الذي اظهرته ايفا تجاه ايان..

وحدق بها جاك ثم قفز واقفاً وكأنما خطرت له فكرة:

«انت تغارين! كارولين انت تغارين!.. اللعنة الا تدرين ان لا سبب يدفعك للغيرة؟ أحبك انت ولم اوافق على صحبة ايفا الا لارضاء امي».

وابتعدت كارولين عنه غاضبة من نفسها، وليس منه لتسببها بهذا الاستنتاج:

«لست أغار يا للسماء! لن اهتم ولو احضرت نصف دزينة من الفتيات معنا! طالما انت لا تعطي الناس الأفكار الخاطئة عن علاقتنا».

«كارولين ماذا فعلت لك؟ ماذا قلت؟ اردت فقط الاظهار لايفا حقيقة الاوضاع بيننا».

«لا بل كنت تستغلني كحماية لك. فلقد ظننت ان ايفا اذا فهمت صورة ما فلن يسبب لك مشاكل لن تستطيع حلها».

«وماذا تعنين؟».

«اعني مشاكل امك.. هذا ما اعنيه».

فهز رأسه:

«لست افهمك».

«الا تفهم؟ لا.. ربما لن تفهم.. وربما هذا هو السبب في معرفتي اننا لسنا مستعدان بعد لذلك النوع من الالتزام».

«اذن ستسامحيني؟».

«أسامحك على ماذا؟ انظر لقد تأخر الوقت هل انت ذاهب الى كهف الكركند ام لا؟».

فلمس ذراعها بلطف:

«وهل عدنا أصدقاء من جديد؟».

«اجل سأحضر نظارة الشمس انتظرني».

ما اذا كان كل منهما يحاول استرضاء الآخر.. فهذا أمر لم يكن كارولين واثقة منه.. فقد مر الوقت سعيداً وهما في الكهف. وجاك لم يعد يحاول التسبب لها بأي امتعاض منه.

أجمل ما مر بها من اثارة كانت التنوع الهائل لأنواع الاسماك وحياة النبات التي وجدتها في تلك البركة الطبيعية داخل الكهف وحول الصخور المرجانية.

عادا الى المنزل باكراً بعد الظهر وكان واضحاً ان بقية من في المنزل قد تناول طعام الغداء وقال جاك:

«أكاد اموت جوعاً.. وانت؟».

«في الواقع افضل ان استحم اولا. أشعر بالمرارة والالتصاق واريد غسل الملح عن شعري وبشرتي».

«الا يمكنك فعل هذا فيما بعد؟».

«انا تعبة ايضاً. فربما الافضل ان اترك الغداء واستريح».

«لا بأس سأراك فيما بعد».

وتنفست كارولين بارتياح بعدما أغلقت باب غرفتها. وبدت لها اسباب خوفها سخيفة لا يجب ان تخاف من السيدة كورتيس. بل

العكس، انها تفهمها جيداً.. وما تحب ان تتجنبه هو النقاش حول ايان الذي يثير عواطفاً فيها لا تفهمها ولا تريد ان تفهمها.

أولاً كانت تتوقع ان يعرفها ايان.

ثانياً لم تكن تعرف شيئاً عن اصابته.

ومع ذلك فلا شيء يمكن ان يغير واقع انهما تخاصما، وبعنف... او ان يتغير الاشياء الظالمة التي قالها لها.. يومها لم يكن يرغب بها. وبالتأكيد لا يرغب بها الان.. فلماذا تسمح لوجوده ان يخلق كل هذه المشاكل لحياتها؟.

فيما بعد عندما عادت الى النزول الى الطابق الارض، كانت تحس بالارتياح لأول مرة منذ وصولها الى هنا. فقد اخرجت كل مخاوفها من نفسها وواجهتها. ولأول مرة أحست بخفة خطواتها وهي تتقدم في الردهة.

كانت تستدير محتارة ومقطبة عندما خرجت والدة جاك من المنزل وراءها:

«اذا كنت تبحثين عن جاك فقد ذهب مع ايفا للعب التنس».

«هكذا اذن.. اين ذهبا للعب».

«في منزلها...».

وبدا عليها الرضى بشكل ظاهر وهي تكمل:

«هل اطلب من كاترين احضار الشاي لك؟ كنت ذاهبة لتوى لأنام قليلاً».

«لا.. لا بأس.. اذهبي للنوم وسآخذ حمام شمس لبعض الوقت».

«حسن جداً».

وبدأت كارولين تسير نحو البركة. هذا ما قد حصل وجاك لم

يكن يفكر بها. فلماذا تتوتر أعصابها وقد عرفت مرة اخرى، انه اتبع الطريق السهل؟.

واستدارت ثانية نحو المنزل تنوي احضار القصة الجديدة التي جلبتها معها لتقرأها. ولكن في منتصف الطريق توقفت على الرغم منها وانجذبت انظارها الى الممر الذي يستدير حول المنزل. انه الطريق الى مرسم ايان. هكذا قال لها الامس. وباندفاع توجهت الى الممر، تتطلع نحو المنزل، وكأنما لتؤكد لنفسها ان لا احد يراقبها. واخذ الممر ينحني نحو الاسفل وهي تلف الجناح الاوسط للمنزل، ثم اختفت عن الانظار وراء شجيرات ورود كثيفة.. واحست بتحد قوي.. كانت عاجزة عن مقاومته.

وانفتح الممر اخيراً على بناء صغير من طابق واحد كله تقريباً من زجاج. وبتنهيدة احباط. قطعت حجارة الفناء لتحدق عبر نوافذ المرسم.. انه يشابه المرسم الذي كان له في مونريال. فيه العديد من القماش المشدود فوق اطارات منها الكامل ومنها ما لم يكتمل بعد، كلها مكومة قرب الجدران. وهناك اصابع الطلاء.. علب «الورنيش» جرار صغيرة تحتوي على عشرات الفراشي والسكاكين، ولوح الرسم في وسط الغرفة..

- ٤ -

صوت تقدم شخص نحوها جعلها ترتبك. وخمنت ان يكون القادم هو السيدة كورتيس، وقد لاحظتها تتطفل على المكان. ولكن القادم لم يكن السيدة كورتيس.. بل كان ايان نفسه يجر قدميه مستندا الى عكازين.. واحمر وجهها لمجرد التفكير بما قد يظنه بها..

وتمكنت من الابتسام وصاحت:

«مرحباً..! ارجوا ان لا تمانع ولكنني كنت متشوقة لرؤية مكان عملك».

ووقف ايان جامداً للحظات. ثم بهزة لا مبالية من كتفيه تقدم نحوها واحست كارولين بأنه يفضل ان تشيح بنظرها عن تحركاته العاجزة.. وتجاوزها دون ان يتوقف للتحدث اليها.

وأسند عكازه على الحائط وهو يفتح باب المرسم، وأزاح الباب جانباً قبل ان يدير رأسه نحوها:

«هل تريدين الدخول؟».

«ظننتك ذهبت مع جاك وايفا».

«لسوء الحظ وكما تلاحظي . . لست مناسباً لملعب تنس».

وأحست كارولين بالاحمرار يشتد فوق وجهها:

«لم . . انا لم اكن أقصد . . ».

«أعلم . . ولكنني لا اجد لذة في مراقبة اثنان يلاحقان طابة في ملعب واسع، وانا مثلك . . افضل الصحبة التي ارغب بها».

«وهل هذه تعتبر اهانة؟» قالت كارولين بحدة. وأخذت تتفحص الصور النصف منتهية وقالت:

«انها جيدة . . الن تنهيها؟».

«انها بشعة . . ظننتك قلت انك تفهمين في الرسم. الالوان ليس فيها عمق . . وتشكيل الموضوع كله غلط».

«لم اقل انني أفهم بالرسم . . انت من قلت . . ».

«حسنا . . لا تهتمي . . بالنسبة لايفا، فهي فتاة طيبة، وهي تعيش حياة مستوحشة لوحدها في المنزل، ليس لها رفيق سوى والدها. ويبدو انها تتمتع بالمجيء الى هنا. فما من شك ان صحبة كسيح في منتصف العمر أفضل عندها من لا شيء».

«انت لست في منتصف العمر ولست كسيحاً!». ووقفت دون ان تفكر لتواجهه بغضب:

«وانت لست بمؤمن بهذا أكثر من ايماني به!».

«لا؟ وماذا تعرفين عن الامر؟».

وحاولت كارولين اصلاح ما سببه لسانها المتسرع:

«ما اقصده . . ان أقول . . ».

«اظنك قلت ما فيه الكفاية . . وربما علي ان اسألك لماذا لست برفقة خطيبك، بدلاً من تضييع وقتي؟» قاطعها بجفاء.

فصعقت لقساوته غير المتوقعة وقالت:

«هل هذا ما تظنه؟ انني اضيع لك وقتك؟».

وارتجفت شفتاها، واستدارت دون تفكير او رؤية الى أين، نحو الباب متابعة:

«حسناً . . لن اسمح ان يقال بأنني . . ».

«انتظري! كارولين . . انتظري!».

استخدامه لاسمها الاول اسرها. وتكراره للإسم ثانية وهو يجر قدميه الى حيث وقفت، جعل احساساتها تتخدر:

«أنا آسف . . ما كان يجب ان أقول هذا. ما قلته ليس صحيحاً . . انت لا تضيعين وقتي . . فلم أكن أنوي العمل أصلاً».

«الم تكن تخطط للعمل؟».

كان يقف دون دعم من عكازيه. وعلى الرغم من كعبيها المرتفعين كان أطول منها بعدة سنتيمترات، نحيل، اسمر، وجذاب بشكل مدمر. وأقر بخشونة:

«لا . . لم اكن انوي العمل. كنت فقط أعترض. وانا آسف لم اكن انوي جرح مشاعرك».

مشاعرها! يا الهي . . هل لديه فكرة عما يفعله بمشاعرها وهو يقف أمامها هكذا؟ جسده على بعد مدة يد منها وكلها لهفة لمد يديها لتلمسه . . الامر ليس سهلاً عليها وهي بقربه هكذا.

«انظري دعيني اعوض لك عن خشونتي معك . . دعيني اريك

القليل من جزيرتي؟ اشك في ان يكون جاك قد تمكن من أخذك الى مرج الزنابق. . هل فعل؟».

«في الواقع اظن ان علي العودة الى المنزل. . سيعود جاك عما قريب. وقد يتساءل اين انا».

«لن يعود جاك قبل الظلام. فأنا أعرف آل درايدن. جيفري لن يتركه يخرج قبل ان يسقيه بعض المرطبات».

«ولكن امك قالت انه سيعود قبل العشاء».

«دون شك. . ولكن العشاء ليس قبل الساعة الثامنة. وهنا وقت طويل أمامنا الا توافقني؟».

«هل تريدني حقاً ان ارافقك؟».

«لقد دعوتك! الم افعل؟».

«اجل. . ولكن. . ».

«اذا كنت لا ترغبين في المجيء فقولي بصراحة. فلن اغضب اعدك».

«ليس لديك اي عذر لهذا الظن».

«اليس لدي العذر؟ حسناً. . اقل شيء افعله هو ان اسلي صديقة جاك خلال غيابه. اتريدين المجيء معي ام لا؟».

«هل سيقود دايفد السيارة؟».

«لا. . اقودها بنفسي. فهناك سيارة مجهزة بأدوات يدوية، وانا عادة اتمكن من كبح رغبتي في السرعة. فهل هذا يطمئنك؟ ام ان حالتي لا تشجعك على قبول النظرية؟».

«حسناً. . سأجيء معك».

لحسن حظها كانت غرفة السيدة كورتيس في جناح بعيد عن جناحها، ولم يكن في المنزل سوى كاترين عندما نزلت من غرفتها

مستعدة للخروج، وابتسمت لها الخادمة وعرضت عليها بعض الشاي:

«ليس الآن كاترين. . شكراً لك. سأخرج مع السيد فيتزوري. هل لك ان تقولي للسيد كورتيس اين ذهبت اذا عاد الى المنزل قبلي؟».

«طبعاً انسة ماكولي. . تمتعي بوقتك!».

فابتسمت لها كارولين واسرعت بالخروج. . ووجدت سيارة صغيرة خاصة بالشاطيء متوقفة امام المنزل وايان وراء مقودها.

وأخذ الجو يبرد بعد تراجع حرارة النهار. ولكنه كان منعشاً بشكل لذيذ.

«انت صامتة جداً».

ملاحظته رافقتها نظرات جانبية لها. وحاولت كارولين اخفاء السويداء التي تمتلكها من جراء افكارها، فتمتمت:

«كنت افكر. . اليس هذا هو طريق الكهف الذي اخذني اليه جاك؟».

«هذا صحيح. . وبماذا كنت تفكرين؟ بدوت كئيبة جداً».

«اوه. . لا شيء محدد. اعتقد انني كنت احلم. فالمكان جميل جداً. . وأنا أحسدك».

«صحيح أشك في هذا. ولا أصدق انك قد تتخلين عن حريتك لهذا» رد بسخرية.

ومرر يده على ساقيه. . فتنهدت.

«ما عنيته انني احسدك على هذه الجزيرة، وانت تعرف هذا. اضافة الى ان حالتك تتحسن بوضوح. . ومن المحتمل ان تتمكن من السير دون عكازين بعد وقت ليس بطويل».

«لا! هـذا غير ممكن. اوه صحيح انني تعلمت كيف أوازن نفسي فوق قدمي ثانية، ولم يعد احد مضطر لحملي كطفل.. ولكن هناك القليل مما استطيع فعله، ومكان محدود أستطيع الوصول اليه. وأعتقد انني وصلت الى اقصى حدودي» قال لها بخشونة.

وسألته، قبل ان تستطيع منع نفسها:

«لماذا اذن لا تريد ان تعرف امك او جاك بهذا؟ اعني.. انهما يهتمان بصحتك اليس كذلك؟ الا تظن ان لهما الحق بأن يعرفا؟».

«هذا شأني الخاص».

وعلمت انها تجاوزت الحد معه مرة ثانية. وقاد ايان السيارة في طريق ملتف نحو لسان طويل من الارض داخل في البحر، وكأنه الاصبع يشير الى الجرف المرجاني، وقال لها.. هذا هو مرج الزنابق وأوقف السيارة فوق المياه مباشرة.

فنزلت من السيارة وتقدمت نحو حافة الصخور ونظرت الى الاسفل. لم تكن الصخور عميقة كما ظنتها. وكان هناك صخور متتالية توفر سلماً طبيعياً، وهناك برك صغيرة بين الصخور بعضها عميق جداً يفرغ من الماء ثم يعاد ملئه بصورة متواصلة حسب هوة الامواج وقوة المد انها مسكن السلطعون والكركند...

ولكن حركة البحر المستمرة اخذ يؤثر عليها بشكل مختلف واصابها دوار غريب.. فتراجعت الى الوراء وسقطت على ركبتيها وأخذت الارض والسماء تدوران من حولها.

«كارولين!».

صيحة ايان جاءت من السيارة.. ولكنها كانت مندوخة بشكل

لم تستطع الرد عليه او العودة اليه. ربما اذا بقيت جامدة دون حراك لبضع لحظات فقد يزول هذا الدوار.

«كارولين!».

هذه المرة كان الصوت اقرب اليها بكثير. وتمكنت من رفع رأسها بما يكفي لتراه يتقدم نحوها على عكازيه، ورماهما وهو يبعد بضع خطوات عنها، وركع قربها ليضع اصابعه الباردة على جبينها المبلل بالعرق البارد.

«ما بك.. هل انت مريضة؟ هل هذا بسبب الحرارة؟».

«هذا.. هذا على الارجح هو السبب. الحرارة اعني احسست فجأة بالغثيان و.. والدوار».

«الدوار؟ هل تحسين بالعطش؟ متى شربت شيئاً آخر مرة؟».

«لست ادري.. اجل.. اذكر.. هذا الصباح..».

«هذا الصباح؟ اتعني انك لم تشربي شيئاً منذ الصباح؟».

«لا.. لا اظن..».

«ايتها البلهاء الصغيرة! وذهبت للسباحة مع جاك هذا الصباح اليس كذلك؟».

«اجل.. ولكن..».

«وهل تناولت الغداء؟».

«في الواقع.. لا..».

«هل فقدت عقلك؟ الا تدركين كم من السهولة ان يجف من جسدك الماء في مثل هذا الطقس؟».

ووقف ليجذبها معه، وحاولت تخليص نفسها من قبضته:

«لم افكر بهذا».

ولكنها وجدته قوياً بشكل غريب وبذراعه وراء ظهرها ليدعمها

في الوقوف، احست بتوق لأن تستسلم وتترك ثقلها عليه. ولكنها ادركت خطر مثل هذه الحركة.. فهي بالنسبة له صديقة اخيه من امه، ولهذا هي محط اهتمامه.. ولكنها لو تصرفت تحت تأثير مشاعر كانت تظنها منسية.. فهي وليس هو ستكون الملامة.

وأخذ يمسح خصلات الشعر الحريري التي قذفتها الريح الى فمه:

«اظن ان هناك بعض علب الشراب في السيارة ستكون ساخنة ولكنها ستفي بالغرض».

«انا بخير الآن صدقاً. لقد ذهب الدوار.. واشعر انني افضل حالاً الآن».

«جيد وأنا سعيد انك لم تقعي من فوق الصخور. لما كان جاك سامحني ابداً واذا فكرت ملياً اقول انني كنت لن اسامح نفسي ابداً».

«انها غلطتي».

فظهرت الدعابة في عينيه وقال ممازحاً:

«لكنت وجدت صعوبة في اقناع جاك بهذا.. ولكن ولله الحمد لن اضطر لهذا. فأنت سليمة».

وجمدت البسمة على وجه كارولين وهو يتابع التحديق بها. كان قريباً حتى انها احست بأنفاسه على خدها، وأخذ صدرها يعلو ويهبط تحت نظرته المتفحصة وعندما اخفض عينيه الى فتحة ياقة فستانها، احست بازدياد حدة نظرته.

ثم قال شيئاً مخيفاً، محذراً، صادقاً، لم تستطع على اثره السيطرة على رعبها.. ولا بد انه احس باجفالها وتراجعها وهو يقول لها:

«هل اعرفك؟».

وعاد الى التحديق في وجهها:

«هل قابلتك من قبل؟».

وهز رأسه دون فهم او ادراك:

«لست ادري ما الامر.. ولكنني استمر في الاحساس بأنني اعرفك من قبل».

- ٥ -

وقفت كارولين في شرفتها تراقب الشمس تغطس ببطء تحت ذلك الحزام الذي يدعى بالأفق. وتنهدت كارولين وأخذت تمرر راحة يدها فوق نعومة قضيب الحاجز المعدني للشرفة.. انها بعيدة جداً الآن عن بلدها وفي كل يوم يمر أحست انها ابعد وأبعد عن مطالب الحياة اليومية. احياناً كانت تقنع نفسها بأنها ستكون سعيدة عندما تغادر هذا المكان...

بداية، احست بالراحة عندما تتراجع عن التفكير بهويتها.. لا بد انها ارتكبت الكثير من الأخطاء أمام حالته المتشوشة حتى انه احس بشيء ما يدفعه الى معرفتها. ردة فعله غير المتوقعة على صمتها كان نعمة من السماء. فقد افترض انها تعترض على تقربه

منها وارتباكه منها جعله يدعها وشأنها.

وكان رجوعهما الى ڤيلا «سوليتير» قد تم في صمت مطبق. فقد التهت كارولين بارتشاف علبة العصير، وقاد ايان السيارة لخمسة عشر ميلاً في سيطرة وتركيز كاملين. ولكن كان كل منهما مستغرق بأفكاره.. وتساءلت ماذا تكون أفكاره يا ترى؟.

منذ ذلك الوقت اتصالها به كان محدوداً وكان جاك خلال ذلك قد استعاد مطالبته، وجعل من الواضح ان ذلك اليوم الذي قضاه مع ايڤا كان مجبراً عليه بضغط من امه، ولأن كارولين كانت نائمة. ومع ان ايڤا زارت الڤيلا عدة مرات الا انها كانت تفضل صحبة ايان وتصرفت مع جاك وكأنها شقيقته وكانت السيدة كورتيس دائماً منزعجة من تصميمهما على تجنب اية علاقة أقرب معاً.

ويبدو ان الحادثة قد غيرت من شخصية ايان.. لن تصدق ابداً انه قد يكون صبوراً ومتفهماً.. واذا كان يفكر بالزواج الآن فلماذا لم يفكر به قبل ان يتشاجرا، وكاد ان يقتل نفسه؟ احياناً كانت تتساءل عما اذا كان من الممكن ان يفكر بشكل مختلف لو اتجهت الامور اتجاهاً مختلفاً. لو انه لم يصعد غاضباً الى سيارته ويقودها بوحشية لو انها لم تعاني النتائج الجسدية لهجرانه كان من الممكن ان يبقيا معاً. ام انها تخادع نفسها بالتصور انه كان يحس بمشاعر عميقة لها اكثر مما كان يحس للفتيات العديدات اللواتي كان على علاقة معهن؟.

وعادت الى غرفتها. واضاءت المصباح واخذت تنظر الى الغرفة دون اهتمام. هذا ليس منزل جاك. انه منزل ايان.. وهذا اثاث ايان.. وهذه جزيرة ايان، وطائرة ايان التي ستوصلها في

النهاية الى مطار هاملتون. . كيف كانت غير مكترثة هكذا؟ لقد قبلت ضيافة الرجل الذي حطم لها حياتها مرة. . ومن لا يزال يملك القدرة على تحطيمها ثانية؟.

فتعرف ايان الظرفي اليها اثبت انه في مكان ما من خطايا عقله الباطن يعرف انهما التقيا من قبل. . واذا لاحق هذه المعرفة وكشف النقاب عنها قاصداً ام من غير قصد، فكيف سيتقبل جاك الامر؟ وماذا لو اكتشف جاك الحقيقة كلها. . .

ولكن لماذا يدور كل هذا في خلدها الليلة على اي حال؟ لماذا تقوم بتفحص مشاعرها الليلة؟.

عرفت الرد، قبل ان تبدأ بتغيير ملابسها. . لقد قال لها جاك ان ايان وايفا سيطيران في الغد الى فيلدلفيا ليقابل وكيل أعماله وهكذا أصبحت الدلالة واضحة أمامها. . .

وفي الوقت الذي اصبحت فيه جاهزة للعشاء، احست بثقة اكبر بنفسها. . وبدت بثوبها وزينتها طويلة نحيلة واثقة ومع ذلك فقد كان حولها جو من التحدي مثير وانثوي. وهي تنزل السلم ساورتها أفكار سخيفة من ان ايان قد يحسد شقيقه عليها.

كانوا قد اتفقوا على التجمع في الشرفة لتناول المرطبات ولكن عندما خرجت كارولين الى الشرفة ظنت نفسها لوحدها. ولكنها بتقدمها اكثر نحو بركة السباحة سمعت صوت همس تحرك كرسي ايان. لا بد انه جالس الى الطرف البعيد من الشرفة ولكنه بدأ يتقدم نحوها.

«كارولين. . يبدو اننا الوحيدان القادران على الاحتفاظ بالموعد».

«مع انني متأخرة خمس دقائق في الواقع. الا اذا كانت ساعتي

مخطئة».

«لا. . لقد تجاوزت السابعة والنصف. . لا يهم. . هل اقدم لك كأس شراب؟ يبدو ان كاترين قد وضعت معظم اغراض العشاء هنا. فماذا ترغبين؟».

«ارغب في شرب التوت مع الكولا». قالت له بعد ان اخذت الكأس المثلج منه:

«لقد قال لي جاك انك مسافر الى فيلدلفيا غداً».

«هذا صحيح. علي مقابلة وكيلي وستستفيد ايفا من الفرصة. اظن جاك قال لك ايضاً انني سآخذها معي».

«اجل انها فتاة محظوظة. . اليس كذلك؟ لقد اكتسبت رحلة الى اميركا. . لا بد انك تفكر بها كثيراً».

«فعلاً. . فمنذ مجيئي الى هنا قبل ثلاث سنوات كانت صديقة طيبة لي وأنا مدين لها بالكثير. في البداية كان لدي معالج فيزيائي يعيش معي ولكن بعد رحيله بدأت ايفا تقضي اوقاتاً أطول معي. ويجب ان نعترف ان القليلات من الفتيات في مثل سنها قد يتخلين عن وقتهن للعب دور الممرضة لمقعد».

«ولكنك بالكاد تكون مقعداً».

«كنت مقعداً. فأنت الآن ترين نتيجة سنوات من الجهود الصبورة. لو انك رأيتني بعد الحادثة لكنت هربت مني. لقد كنت كتلة قبيحة لم اكن استطيع فعل شيء لنفسي. . ولم اكن اعرف كم عظمة مكسورة في جسدي، ولكني اعرف الآن ان معجزة انقذت يداي».

«انا. . اعتقد هذا».

«ليس هناك مجرد اعتقاد. . فأنا اظن انني لو فقدت القدرة على

الرسم، مع ما تبقى، لقتلت نفسي!».

فشحب وجهها وقالت مذعورة:

«لا!».

«بلى.. اوه.. بلى.. لكنت فعلت هذا. فليس لدي اي شيء آخر اعيش لأجله».

«انت.. لديك عائلتك..».

«عائلتي لم تكن متكاتفة في تلك الايام. وشخص بسيط يمكن ان نسامحه لاعتقاده ان لا فرصة امامي للعيش».

وهو يتحدث، التوى فمه بنفس الابتسامة المريرة التي ارتسمت على وجهه منذ ثلاث سنوات عندما قال لها ان الزواج ليس بين الامور التي يفكر فيها في الوقت الحاضر. وكان هذا بداية للشجار الذي قطع اي علاقة بينهما.

ولكن هل صحيح ان هذا هو سبب دفع امه الى اعادة الاتصال به لأنها اعتقدت انه يموت؟ واذا كان صحيحاً، الا تدرك ان ابنها قد فهم دوافعها جيداً؟. وقاطع ايان جبل افكارها:

«وهكذا.. هل صدمتك بكلامي؟ ام انا مخطيء في تفكيري، ولم تكوني تفكري بما قلته؟».

«كنت افكر انك ربما تكون قاسياً قليلاً على اقاربك. فأنا واثقة ان جاك مولع بك جداً».

«ربما انت على حق. هل اعطيك كأس شراب آخر؟».

«لم انه ما بيدي بعد».

«وهكذا اصبحت الآن تعرفين لماذا أنا مولع بايفا. لقد كانت الوحيدة التي تحدثني. ولم يكن لها دوافع خفية».

واحست بالصدمة لجلوسها هكذا وهو يعدد فضائل ايفا.. ولن

تكون من البشر اذا لم تحس بالتكدر لعدم اهتمامه بها.. وجعلها الغضب مقهورة، فقالت:

«ربما لها دوافع.. دوافع خفية أعني. ولكن قد لا تكون مدركاً لها».

«وماذا يفترض بهذا ان يعني؟».

«اتصور انها قد يكون لها.. خطط شخصية».

«للزواج بي؟ واذا كان؟ هذا اطراء لي».

ولم يكن هذا هو الرد الذي توقعته، توقعت الغضب، او السخط على الاقل، وليس الموافقة. وجعلها هذا تريد ان تؤلمه كما يؤلمها. فقالت:

«اتصور هذا.. اعني ان تحس بالاطراء. فكما قلت ليس هناك الكثير من الفتيات يقبلن بالتورط مع شخص لن يستطيع.. المضي في حياة زوجية طبيعية!».

«انا لست عاجزاً جنسياً. أتعلمين هذا؟».

ووقفت كارولين عندما وصلت سيارة ايفا الصغيرة. وكان من الجيد لها ان الانوار المنبعثة من المنزل تسبب بعض الظلال فاختبأت في الظل. تراقب تقدم ايفا ووالدها:

«مرحباً انتما الاثنان».

بالرغم من سواد ثوب كارولين فقد لاحظتها ايفا، وبعد ان شدت على يد ايان الممدودة نحوها استدارت الفتاة الى والدها:

«هذه خطيبة جاك يا ابي.. والدي عالم اثريات يا كارولين لقد ملأ منزلنا بالكتب القديمة والاحجار الاثرية هو يقضي وقته الآن بدراستها».

«كيف حالك آنسة ماكولي. انا مسرور للقاءك.. لقد سمعت

تقديرك من الجميع وتشوقت لرؤية الاصل بنفسي».

«انت لطيف جداً . . وكل ما آمله ان لا اخيب ظنك».

«والدي يحب الجمال. يحب ان تجيئي لرؤية مجموعته» قالت ايڤا.

«اجل . . تعالي . . سأكون سعيداً في عرضها عليك» قال والدها.

وتمكنت كارولين من الابتسام ولكنها احست بالراحة عندما عرض ايان عليهما المرطبات . . . يد على كتفها اشعرتها بوجود جاك الى جانبها. فاستدارت اليه يائسة:

«اين كنت؟ كنت انتظرك؟».

«لو علمت انك ستكوني بهذا السرور لرؤيتي لجئت في وقت ابكر. همم. رائحة عطرك رائعة. ما اسمه. هل هو فرنسي؟».

«اجل . . انظر ايڤا ووالدها هنا».

وتحولت ابتسامته الى التصلب وهو يصافح العجوز، مع ان سروره بمشاهدة ايڤا كان حقيقياً. ولكنه استدار الى كارولين ليحيط خصرها بذراعه:

«اسف لتأخري عليك . . لقد كنت اتحدث الى امي انها غير سعيدة لسفر ايڤا مع ايان».

اذن هناك شيء تتفق معها عليه . . وتابع جاك:

«مع انها لن تستطيع فعل شيء بهذا الخصوص . . فايڤا كبيرة بما يكفي لتعرف ماذا تفعل ومن غير المحتمل اقناع ايان بتغيير فكره».

«ولكن امك تحب ايڤا . . فلماذا تعترض؟».

«اوه صحيح . . انها تحبها فهي مطيعة، ولكن لا تحبها كزوجة

لإيان، اوه . . . انها لا تعتقد ان ايان يستطيع تحمل ضغط الزواج . . .».

«ولكنه بخير . . .».

«انه ليس رجلاً كاملاً يا كارولين . . انظري . . لم اكن ارغب في قول هذا لك . . ولكن حسناً . . لن يكون ايان مفيداً لأية امرأة».

«لا . . .».

«بلى . . فأنا اعرف . . لقد تحدثت الى طبيبه».

وبالكاد استطاعت كارولين اخفاء ذعرها لهذه المعلومات. انها غير صحيحة . . وجاك طبيب ولا يمكن ان يخطيء. واحست بالصدمة لما قالته لايان منذ قليل.

ولم تتذكر كارولين الكثير مما جرى خلال العشاء الذي تلا وتمنت ان لا يلاحظ احد فقدانها لشهيتها. وأحست بالعرق البارد يبلل رأسها وجسدها عندما رفعت رأسها مرة لتشاهد نظرة ايان المتفحصة مثبتة عليها.

بعد انتهاء العشاء تجمعوا في غرفة الجلوس، وقدمت ابنة كاترين القهوة لهم . . ووضع جاك بعض الاسطوانات الموسيقية. وسمعت كارولين صوتاً يقول لها:

«اتمانعين في ان انضم اليك؟».

وكان هذا جيفري درايدن يحمل فنجانين من القهوة وقال لها:

«اخبريني . . هل انت عارضة ازياء؟ يبدو لي انني اعرف وجهك من مكان ما. هل يمكن ان اكون قد شاهدته في مجلة؟ احدى تلك المجلات النسائية التي تتلقاها ايڤا بالبريد كل شهر؟».

«لا . . ولكن وجهي ليس مميزاً سيد درايدن . ربما تخلط بينه وبين وجه آخر».

«لا اظن هذا . . لا . . فأنا اعرف هذا الوجه آنسة ماكولي! والآن كيف يمكن ان اكون قد رأيته من قبل؟».

«ما رأيك بالصورة التي اريتك اياها منذ يومين؟» سأله جاك.

فاستدار العجوز اليه:

«وهل اريتني صورتها يا جاك؟ اوه . . صحيح! اذن هكذا عرفتك آنسة ماكولي!».

- ٦ -

واحست كارولين بالارتياح . . فللحظات رهيبة ظنته قد عرف علاقتها بايان . . او انه قد شاهد لوحة له تحمل تشابهاً لوجهها.

وكأنما احس جيفري أنه متطفل فوقف مبتعداً. فجلس جاك مكانه وهو يقول:

«يا للمغفل العجوز! نصف وقته ينسى اسمه».

«لا يبدو عليه انه مؤذي».

«كما قلت لك انه يعيش عالة على الآخرين. فأين سيكون لولا شراء ايان لأكسير الحياة له؟».

«اتعني ان ايان يعيلهم؟».

«انه يسميها دفعات لقاء خدمات ايضا اما انا فأسميها بأشياء اخرى».

www.rewity.com

«ولماذا تحس بهذه المرارة؟ هو لا يعيش عالة عليك!».

«انه كذلك ولو بشكل غير مباشر».

«حسناً انه امر منطقي اليس كذلك؟ اعني.. اننا، انا وامي، عائلته الوحيدة، واذا حدث شيء له فمن الطبيعي ان نكون اقرب انسباءه..».

«جاك!».

احتجاجها كان على صوت كانوت. واحمر وجهها لجذبها الانظار الفضولية. وغطى جاك يدها بيده وهي على الصوفا وأضاف بهمس:

«يجب ان نكون واقعيين يا حبيبتي.. فاذا لم يتزوج ايان فسأرث كل شيء من بعده.. وصدقيني، سأطرد جيفري درايدن من الارض بسرعة قد لا أدع قدميه تطئان الارض ثانية».

في غرفتها تلك الليلة اقفلت الباب وأسندت نفسها عليه. اينما استدارت فلا مجال لتغير واقع ان ايان دفع ثمناً باهظاً لقلة اكتراثه وتسلطت ذكرى غضبها عليه فوق رأسها كسيف الانتقام.

وما ازعجها اكثر كان رأي جاك بالمستقبل. هل يتوقع فعلاً ان يعيش اكثر من ايان ليرثه، وهل هذا هو سبب اعادة اللحمة للعائلة؟ وهل يمكن استطراداً ان يكون هذا هو السبب في رمي السيدة كورتيس لجاك في طريق ايفا؟ فايفا تمثل التهديد الوحيد لما تظنه امان لها؟.

وقررت ان تأخذ دوشاً لتنظف نفسها من النجاسة التي تحس بها.. وتحت رذاذه البارد المثلج احست بالانتعاش.. ولا فائدة من ان تظهر نفسها من شيء صعب تغييره ولا علاقة لها به.. واصبحت ذكرياتها مؤلمة واخذت تتقلب فوق السرير.. لو انها

فقط تستطيع الاستمرار في كراهية ايان ولومه.. لو انها تستمر في الاحساس بالامتعاض والكراهية التي حافظت عليها منذ وقت طويل.. لو انها...

بالرغم من توترها.. لا بد انها نامت، فعندما فتحت عينيها ثانية احست ان شيئاً.. او شخصاً.. قد صحاها. واستلقت في نصف الظلمة وقلبها يخفق عالياً في اذنيها. مع احساس بأنها لم تعد لوحدها في الغرفة. ولم تستطع رؤية شيء او سماع شيء ما عدا صوت تنفسها.. ولكنها كانت مقتنعة انها ليست مخطئة. وبدت الظلمة أشد. وكأنما شيء ما يمنع اشعة القمر الفضية.. ورفعت نفسها على ذراع واحدة، ومدت يدها الى زر المصباح قرب السرير.

ولكن قبل ان تصله يدها وقف طيف جسد قوي. بينها وبين النور الداخل الى الغرفة عبر مصارع النافذة النصف مفتوحة. وتصاعدت صرخة رعب الى حلقها، فسارعت يد قوية لتغطية فمها. ولتعيدها فوق الوسائد، واحست بجسد بشري يحرك رفاصات السرير الى جانبها.

وكاد الذعر يصيبها بالاغماء. وقاومت بيأس لتحرر نفسها من ذلك الذي يربض لها فوق السرير وكأنه الوحش.. وتصرفت بتهور كامل، عندما غرزت اسنانها بطيش في راحة اليد التي تغطي فمها ذهلت لسماعها صوت مألوف يسب ويلعن. قبل ان يسحب يده.

وعلى الفور خمدت عدوانيتها. واصبحت اطرافها ضعيفة.. واصيبت بالصدمة.. وفرك راحة يده الجريحة ثم جلس قربها على السرير. يرد على نظرتها بما كانت واثقة انه نظرة تجهم. واخيراً تمكنت من الكلام:

«ايان؟.. ماذا تفعل هنا؟».

ولم يرد على الفور. وما ان تعودت عيناها على الظلمة حتى رأت انه لا يزال يرتدي ثيابه التي تناول العشاء بها... ماذا يفعل هنا؟ لماذا دخل اليها؟ وماذا تفعل هي لتتركه يبقى معها.. وكأنما له الحق؟. وقالت بسرعة ولهفة، قبل ان يفاجئها بأي عمل:

«ارجوك.. يجب ان تذهب..».

فاستدار اليها واضعاً يده على كلا جانبيها، ليأسرها داخل قوس ذراعيه ينظر اليها بنوايا عبرت عن نفسها حتى في الظلام. قال بخشونة:

«ولماذا اذهب؟ لا اريد ان اذهب ولا اصدق انك تريدين مني ان اذهب».

«انت مجنون! لست افهم ما تظن نفسك تفعل.. ولكنني اؤكد لك..».

«صحيح.. فأنا واثق انك تستطيعين التأكد لي.. اعني تؤكدي لي انني لست غير حساس ولست بالعاجز جنسياً. بل مجرد مريض وهذا كل شيء».

وتحركت لتتجنب مداعبة اصابعه:

«ايان.. توقف عن هذا! ماذا تفعل هنا؟ وكيف وصلت الى هنا؟».

وتذكرت وهي تسأله عدم قدرته على تسلق السلم. فرد عليها:

«لقد تدبرت امري».

واخفض رأسه ليلامس بلسانه بشرة كتفها:

«همم.. كم هذا لذيذ! كله دفء ونعومة وليونة».

«سأصرخ.. انا.. انا.. سأصرخ..».

«هيا اصرخي.. من سيسمعك..؟ لا احد ينام في هذا الجناح؟ وغرف العائلة بعيدة عن هنا. ونحن لوحدنا تماماً.. وبمعزل تام..».

وابعدت كارولين نفسها، وحل الغضب مكان عدم التصديق.. هل عرف من هي؟ هل تذكرها؟. وقالت له لتتمسك بآخر ملجأ لها:

«ماذا عن جاك؟ ماذا عن شقيقك؟ كنت أظنك تهتم به؟ ولن تفعل اي شيء قد يؤذيه؟».

«وكيف يمكن ان اؤذيه؟ لا يجب ان يعرف. الا اذا اخبرته انت بالطبع.. ولا اظن انني اعتدي على منطقة لا زالت عذراء.. اليس كذلك؟ اعني ان جاك اخبرنا كل شيء عنك.. وعن علاقتكما..».

وانفرجت شفتا كارولين ولكن لم يصدر اي صوت عنهما.. ولم تستطع قول شيء للدفاع عن نفسها واحاطت ذراعاه بها بعناق حميم.. اي شك كان في ذهنها بأن مشاعرها نحوه ماتت، زالت تماماً.. فهي حتى الآن بالنسبة له معرضة للاغراء كما دائماً.. وبارتفاع وثيرة المشاعر بينهما لم تعد تحس بأي صلة لها بالموانع المتبقية في نفسها.

«ايان.. ارجوك..» قالت له كارولين.

حتى في هذه اللحظات من التوتر الشديد، احست كارولين بنفسها تستسلم تحت انظاره.. وسمعته يقول:

«اخبريني عن الرجال في حياتك كارولين!».

«ولماذا يهمك الامر؟ اي نوع من الرجال انت؟ كيف تستطيع ان تنام هكذا مع خطيبة اخيك..».

«بل مع خطيبة اخي النصف شقيق.. فلنكن دقيقي التحديد. ولنعد لسؤالي..».

«ولماذا ارد عليك هذا السؤال؟ لست ارى لماذا تهمك خصوصياتي.. او لماذا هي من شأنك!».

«علاقاتك هي كلمة اكثر دقة. كما اعتقد..».

«ماذا.. ماذا قال لك جاك؟».

«ماذا قال جاك.. وماذا تتوقعين ان يقول لعائلته المحبوبة؟ لقد قال فقط ان الفتاة التي يهتم بها.. الفتاة التي يأمل ان يتزوجها.. عرفها اول ما عرفها عن طريق صديق له».

«وهل قال لك هذا؟».

«جاك اساساً رجل صادق. البعض قد يسمي هذا بالضعف ،لكن والدتنا تصمم عادة في الوصول الى لب الموضوع».

«وهل قال لكما.. كيف التقينا؟».

«في الواقع انتزعت امه منه الحقيقة. انها امرأة كثيرة الاسئلة. ارادت ان تعرف كل شيء عنك، واعترف لها انك كنت مريضة عنده وان صديقاً له اتى بك الى المستشفى الذي يعمل فيه في حالة احباط مزرية.. وانه اشرف على علاجك من صدمة ما..».

«صدمة ما..».

«اجل.. ولم تكوني متزوجة.. ومن الواضح ان هذا كان سبب صدمتك..».

«وهل تظن انني تعمدت الاصابة بصدمة؟ ان شيئاً حدث لي فانهرت! وهذا كل شيء!».

«على كل حال.. كان جاك سريعاً في التفسير انك لم تكوني في وضع ترحبين به بعلاجه يومها.. ولكنك فتاة جميلة، كما انا

واثق انك تدركين مدى جمالك. والقدر وحده جمعكي ثانية في تلك الحفلة الراقصة، والتقت عيناكما عبر القاعة. واصبحتما حبيبان منذ ذلك الوقت».

«لا.. لا..! نحن لم نكن حبيبان.. مطلقاً!».

«وهل تنكرين انجذابك له كما انجذب هو لك؟».

«لا..».

«وهل تنكرين انكما منذ تلك الامسية.. منذ متى كانت؟ سنة ونصف؟ كنتما رفيقان دائمان؟».

«لا.. ولكن كنا صديقان..».

«صديقان!».

«اجل.. صديقان! على كل الاحوال هذا ليس من شأنك.. فأنا وهو نعيش حياتنا كما يحلو لنا!».

«ليس تماماً.. فجاك يفعل ما يقال له. كما لا شك اكتشفت!».

«والى ماذا تلمح؟».

«جاك.. سهل القيادة.. وعندما امنعه انا او امه من رؤيتك مجدداً، فلا شك عندي انه سيعترض ولكنه سينفذ».

«لا اصدقك».

«هذا من شأنك».

«لماذا تفعل هذا؟ لماذا يهمك الامر؟ انت لا تعرفني!».

«لا.. ولكنني اعرف عنك. وما اعرفه لا يملأني بالثقة بك».

«وماذا تظن نفسك؟ حارس جاك؟ ام انك بكل بساطة السيد تمارس سلطتك؟».

«انها فكرة مفيدة. وعليك الاعتراف بهذا».

«كما قلت من قبل.. انك مجنون! اوه ارجوك، اذهب! اذهب من هنا فقط!».

«يا لكارولين المسكينة! كم انت بريئة، انت متهمة ظلماً..! ومع ذلك فأنت تستسلمين لرغبات جاك دون تردد!».

«هذا ليس صحيحاً.. قبل تعرفنا كنت اتجنب اي اتصال مع اي رجل ولفترة طويلة.. حتى بعد ان التقينا ذلك المساء عندما دعاني للخروج.. رفضت..».

«ولكنك لم ترفضي لوقت طويل».

«اصبحنا صديقان، كما قلت لك. ومع ذلك فلماذا اقول لك.. لست ادري حقاً..؟».

«الا تدرين يا كارولين؟ الا تدرين؟».

«انت تعرفين لماذا جئت يا كارولين. اليس كذلك؟ لقد جئت لأرتوي من ينبوع شبابك.. لأتعبد في معبد جمالك..».

«لا! لا يجب..».

محاولاتها اليائسة لابعاد هجومه المتجدد عليها كان هباء.. فهو اقوى منها بكثير. كما ان هجومه هذا لم يكن جسدياً فقط.. فهي انما تقاومه وتقاوم نفسها في نفس الوقت. تحاول جاهدة كبت المشاعر التي يثيرها فيها.. انها تعرف الآن انه ليس عاجزاً مهما كان يعتقد اخاه...

وتخلت عن مقاومتها دون خوف من الاستسلام.

«ايان!..».

ولفت ذراعيها حول رقبته، وفجأة سمعته يشتم نفسه بكلمات بذيئة.. ورفع ذراعاها بقوة من حول عنقه، ووقف وكأنه حد السكين...

«لا.. وحق الله..». واضاف:

«لا يا كارولين.. لن تحصلي على هذا الرضى.. فأنا لم اجيء الى هنا لاغازلك. مع ان من الواضح انك ظننت هذا. لقد اتيت لأغويك. ولكن ليس الى حد التلاحم.. فقط لأصل الى هذا.. هذا الوضع غير المرحب به من الدمار لك.. واظن انني نجحت..».

رمقت كارولين نفسها على مرفقيها، تعابير وجهها ذهول المصدومة.. وفي هذه اللحظات لم تفكر كثيراً بالكرامة او الشرف... فصاحت به:

«ايان.. ماذا تقول؟ ايان ارجوك.. لا تذهب الآن..».

«اخرسي! اخرسي!».

وأدار ظهره اليها وكأنه لا يستطيع تحمل النظر اليها.. وبرعب ادركت اين هي. وماذا قالته. ودفنت وجهها المذلول في الوسائد.

ولم تسمعه يخرج فقد غادر بصمت كما دخل. وعندما رفعت رأسها لتعلم انها لوحدها، لم تحس بالراحة. بل العكس. احست بأسوأ ما أحست به في ذلك اليوم عندما خرج ايان من شقتها عاصفاً ليتركها تواجه تلك السنوات الثلاثة المحرومة.. ولقد انتهت تلك السنوات بنفس القدر الذي فرض عليها ان تقابله ثانية، ان تمضي اياماً معه، ان تتعلم حبه من جديد هذا اذا كانت قد توقفت عن حبه ابداً.

الهواء البارد لفح وجهها ليعطيها صحوة مفاجئة، بعدما خرجت الى الشرفة وكانت السماء في الخارج مضاءة... حركة في الاسفل جعلها تتراجع مجفلة عن حاجز الشرفة ومع ذلك لم تستطع منع نظرها من التركيز على الجسد الطويل الذي برز على

الشرفة التي تحتها. وأخذ ايان يسير بصعوبة على الدرجات التي تقود الى الحديقة... وكان يمشي وشاهدت كارولين ذلك باعجاب صحيح ليس بسهولة ولكنه كان يمشي دون عكازات.. مما يكشف ان حالته ليست يائسة كما يصورها جاك وامه.

واحست بالدموع تتجمع خلف عينيها.. مهما فعل.. وكيفما عاملها.. ستبقى على حبه. ويمكن لها ان تتخلى عن الدنيا كلها لتعيد اليه تلك السنوات التي أضاعها.

واستفاقت على طرق الباب. ونظرت الى الساعة بقربها ولم تصدق فقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة! لقد نامت منذ الصباح ثمانية ساعات تقريباً!.

«كارولين.. ؟ هل انت هنا؟ هل أستطيع الدخول؟».

انه صوت جاك. وعلى الفور تصاعدت الدماء الى وجهها.. كيف ستتمكن من مواجهته؟ كيف ستتمكن من مواجهة إي منهم؟. وابتلعت بصعوبة.. ثم نادت:

«اجل.. اجل.. بامكانك الدخول!».

«حسناً.. الا تعلمين كم الساعة الآن؟».

«اعلم.. وانا آسفة.. لا بد انني استغرقت في النوم».

«استغرقت في النوم؟ ظننتك مريضة.. لقد نمت ما يزيد عن الاثنتى عشرة ساعة!».

«لا! في الواقع.. اعني.. لم انم بالفعل. لم انم كثيراً قبل الفجر.. كنت تعبة، ولكن متوترة الاعصاب. وانا آسفة..».

«والآن؟ هل ستخرجين من الفراش؟ ام تريدين من كاترين ان تجيئك بالفطار..».

«يا للسماء.. لا! بالطبع سأخرج من الفراش في الحال..

ولكن لا تقلق حول الفطار.. فلست جائعة».

«ومع ذلك يجب ان تتناولي طعاماً.. فما سمعته من ايان يكفيني بعدما حصل معك الاسبوع الماضي، يجب ان تأكلي في هذا الطقس».

«شكراً لك..».

اذن لقد وبخ ايان أخاه لعدم اعتنائه بها.. بالطبع! كم هي غبية..؟ ايان وايڤا مسافران اليوم.. لقد كانت تتوقع لقاءه...

«وهل.. رحلا؟».

«باكراً ليلة امس وبعد ذهاب ايڤا ووالدها.. تشاجر مع امي. وقالت له انه مخطيء بما يفعل.. وان لا حق له في ان يتركها تعتقد انه سيتزوجها فهو لن يتزوج من احد. وكما قلت لك انه ليس رجلاً كاملاً.. فهو بحاجة الى الراحة كي يعمل لا الى توتر وتعقيدات زواج لن يكون سوى زواجاً عذرياً».

«وكيف.. كيف تعرف هذا؟ ولماذا تقول.. ان ايان عاجز جنسياً؟ كيف يمكن ان تكون واثقاً؟».

«انه الشلل.. فلو كان هناك من تحسن لأصبح الآن واضحاً كان يجب على الاقل ان يقف على قدميه.. ولكن كما تشاهديه.. بالكاد يجر نفسه فوق الارض على عكازين. والله وحده يعرف كيف يتمكن من ارتداء ثيابه وخلعها. ولكنه لا يترك احداً يساعده. وحده طبيبه يعرف حقيقته. ولكن بعد حديثي معه.. لست متفائلاً ابداً».

وكان بامكانها ان تقول له انه يستطيع ان يمشي.. وان التحسن الذي يتكلم عنه موجود.. ولكنها لم تستطع اخباره.. ولم تعرف لماذا تحس بحاجة لاحترام ثقته بها، فهذا ليس نابعاً من احترام

أظهره لها..

«ربما لن تمانع ايفا» قالت كارولين.

«ايفا امرأة كبقية النساء.. قد لا تفكر بهذا الآن ولكن عاجلاً ام آجلاً ستطلب المزيد.. ستطلب الاطفال ستطلب عائلة حقيقية. وهذا شيء لن يتمكن ايان من اعطاءه لها».

«بامكانهما تبني طفلاً».

«تبني طفل؟ لا تكوني حمقاء؟ لا يمكن لهما تبني طفل..! فأمي لن ترغب مطلقاً بطفل يزعق ويخرب ولن يكون مطلقاً حفيدها! فلديها هنا أشياء ثمينة.. صيني.. بورسلان.. لوحات..! والمنزل كمنجم الذهب! هل تظنين بامكاننا تحمل ابن حرام يرث الجزيرة وما عليها؟ لا بد انك جننت!».

وخرج من الغرفة عاصفاً...

اذن ما من شيء سيغير حقيقة ان هذه الجزيرة بالنسبة لجاك وامه، هي منزلهما.. وهما ينويان ان تبقى هكذا.. وتساءلت للمرة الاولى اذا كانا حقاً يهتمان بايان.. ما عدا ان يكون المعيل لهما.. هل يمكن ان تكون كلماته لها، والتي بدت ساخرة في وقتها، فيها اساس مبني على واقع؟ وهل ان امه انما افتعلت هذا الجمع للشمل بعد حادثته لمجرد انها توقعت موته؟ انه امر مخيف.. هل السبب الوحيد الذي يجعلها تعيش هنا معه بعيداً عن العالم لمجرد التأكد من وصول الارث الى ابنها الاصغر؟ وهل تهتم حقاً بأمر ايان؟.

واحست كارولين بأنها مصدومة.. ما هذه الخدعة المتشابكة.. وها هي قد شاركت فيه بقدومها الى هنا. لو انها الآن تستطيع الرحيل. اليوم.. وقبل ان يحدث اي شيء آخر.

ومع ذلك.. ففي أعماقها كانت تعلم ان هناك رغبة تدفعها للبقاء.. وان تشاهد ذهولهما عندما يكشف ايان عن الحقيقة!.

عاد ايان وايفا بعد ثلاثة ايام. كانت كارولين تتشمس قرب البركة عندما شاهدت الطائرة تحوم حول الجزيرة قبل هبوطها.. واقشعرت بشرتها لمجرد التفكير بمواجهته ثانية. لم تكن تعلم ما قد تتوقع منه.. العناد، والتصميم، ونوع من التلذذ المتعمد العذاب منها من الهرب الى حمى وجود جاك معها.

وتذكرت كم صدمت شقيقتها اليان عندما اخبرتها ما تنوي فعله.. فعالم اليان لا يحتوي سوى على الخطوبة والزواج، الخواتم الماسية وازهار البرتقال...

وحاولت ردع اختها.. حتى ان زوجها بارني ذهب يقابل ايان.. وطالبه بأن يعرف منه ماذا ينوي معها.. وبطريقة ما اقنعه ايان يومها انه ليس بالحلف القاسي الذي يتصوره هو وزوجته.. ولكن ما ان فاتحته كارولين بالزواج حتى بدأت الامور تسؤ بينهما.

لماذا فرضت عليه الموضوع بتلك الطريقة؟ كان يجب ان تعلم ان ايان ليس الشخص الذي يجبر على عمل شيء.. ماذا قال عنه جاك؟ قال انه لا يتجاوب مع الاكراه القسري؟ هذا صحيح.. واعترفت لنفسها الآن ان جهودها الخرقاء لعرض مشاعرها عليه بدت وكأنها الاكراه القسري في نظره.

ماذا كان سيحدث لايان لولا حصول الحادث؟ هل كانت الامور ستختلف؟ لو انها لم تعاني ما عانته لدرجة دخولها المستشفى للعلاج.. لو انها عرفت يومها انه يعاني من فقدان الذاكرة.. من كان السبب في حرمانها من الوصول اليه؟ من اعلن لها انه لا يرغب في رؤيتها؟ من قال لها ذلك الامر القاسي؟

والذي تسبب بكل ذلك اليأس داخلها حتى انها فقدت أعصابها؟ وأدركت انه لا يمكن ان يكون ايان. . ليس وهو محطم بالطريقة التي قالها لها. .

صوت محرك سيارة في الفناء قطع حبل تساؤلاتها. ثم سمعت صوت همس اطارات كرسي ايان تجر فوق الشرفة باتجاه السلم. كانت ايفا تجر له الكرسي. وجهها الصغير محمر ومبتهج. . وكأنما هي سعيدة جداً في حياتها. .

وتجنبت كارولين النظر اليه. . نظرت اولاً الى يدي ايفا او على وجه الأخص الى اصبعها الثالث من يدها اليسرى واحست بالراحة لعدم رؤيتها اي خاتم فيه. . على الاقل لم يستغل ايان الفرصة ليخطبها، مع ان من الممكن ان يكون قد اشترى الخاتم وينتظر ان يطلب الاذن من جيفري.

«كارولين!».

لقد شاهدها الآن. . . وبجهد دفعت نفسها للرد:

«اهلاً بك في منزلك».

وشاهدت التواء فمه الساخر. . وتمنت ان لا تلاحظ ايفا تسارع انفاسها، او كان من الصعب عليها ان تمنع الدم من التصاعد الى وجهها. . كيف يمكن لها ان تحب شخصاً يستمر في التسبب بالألم لها. .؟ واختارت ايفا لحظة التفكير هذا لتقول:

«لقد امضينا اوقاتاً رائعة. . ولم يكن لدينا دقيقة فراغ واحدة يا كارولين. . حقاً لقد كانت رحلة عظيمة!».

«كم انا مسرورة لكما. . هل تريدان ان اطلب لكما بعض الشاي؟».

«ليس لي. . فما اريده الآن هو حمام ساخن وتغيير لملابسي لو

عذرتماني كلاكما. .» قال ايان.

وتنحت كارولين عن طريقه وهو يدير كرسيه نحو الابواب المفتوحة للشرفة. ثم استدارت الى الفتاة الاخرى مبتسمة:

«وماذا عنك؟ أم انت مستعجلة للوصول الى منزلك؟».

«اوه. . لا. . سيتعشى ايان معنا الليلة. . لذا سأنتظره. ولكن اذا رغبت ببعض الشاي اشاركك به».

واحست كارولين برغبة جامحة ان تخبر ايفا قصتها مع ايان ان تمسح هذه النظرة الراضية عن وجهها. . والى الابد. ولكنها هزت رأسها بأدب، واستدعت كاترين لتطلب الشاي. . .

«هاي لقد عدتما! ظننت انني سمعت صوت الطائرة تحوم فوق الڤيلا. اين ايان؟» قال جاك.

«ذهب ليستحم ويغير ملابسه. وكارولين طلبت الشاي فلماذا لا تنضم الينا؟» ردت ايفا.

«سأفعل هذا فما هو اجمل من مشاركة الشاي مع اجمل فتاتين؟ الافضل ان استفيد من الامر قبل عودة ايان».

وصول كاترين بالشاي اراحها من تفكيرها مؤقتاً. ووضعت الخادمة الصينية قرب كارولين على طاولة منخفضة. وتولت امر توزيع الفناجين بحماس. . حتى ان ظهور السيدة كورتيس لم يقطع تركيزها، حتى بعد ان بدا الانزعاج على العجوز لتصرفها غير الرسمي تجاهها. . وقالت السيدة بصوت بارد:

«لقد عدت اذن يا ايفا. لم اسمع دايڤد وهو يخرج بالسيارة».

«لم يفعل. . لقد استخدمنا سيارتي».

«آه صحيح. . كما فعلتما يوم غادرتما. انا متعجبة منك ايفا. . لماذا لم تودعيني حتى».

«لقد غادرنا باكراً. . ولم يرغب ايان في ازعاجك» قالت مدافعة عن نفسها.

«انا اعرف تماماً نزوع ولدي للفظاظة. . ولكنني كنت أظنك أفضل منه يا ايفا».

وبسرعة انقلب تعاطف كارولين الى ايفا، فقاطعت العجوز وهي تبتسم:

«اظن ايفا كانت متوترة من توقع الرحلة. . فلماذا لا تسأليها اذا كانت قد تمتعت برحلتها؟ وبما انهما عادا بسلام فلا يهم حقاً كيف رحلا. . اليس كذلك؟».

«عندما اريد رأيك سأطلبه منك يا كارولين. . ولمجرد الملاحظة. . لا احد يقدم الشاي لضيوفه بالبيكيني. .» ردت العجوز.

وسأل صوت جاف من ورائهم:

«ولماذا؟ اخوفاً من ان يسري الشاي عبر ثقوبه؟».

وضحكت ايفا من غير قصد تخلصاً من توترها.

«بالطبع كنت اتوقع تعليقاً كهذا منك يا ايان. فهل يعني هذا انك موافق على مظهر الآنسة ماكولي؟ انا واثقة ان ايفا لا يعجبها هذا اكثر من اعجابي به» علقت الام

- ٧ -

واحترق وجه كارولين بالغضب. . وبدا القلق على جاك بينما التزمت ايفا الصمت الحرج. وعرفت كارولين تماماً مدى نجاح السيدة كورتيس في التعامل مع الموقف. . فبإثارتها الاهتمام لموافقة ايان على مظهرها المغري استطاعت كسب تعاطف جاك وايفا معاً. ولكن ايان رد عليها:

«اي رجل يستحق اسم رجل سيعجبه مظهر كارولين. . الا توافق على هذا يا جاك».

واخذ جاك يتململ في مقعده باضطراب:

«ما. . ماذا؟ اوه. . اجل». ونظر الى امه التي كانت ترمقه بقسوة وتابع:

«بالطبع كارولين تعرف تماماً مشاعري. .».

ولم تقل كارولين شيئاً. بل ركزت اهتمامها على فنجان الشاي في يدها.. فهي لم ترغب في التورط في مشاكل عائلية واستعادت ايفا روعها من حرجها لتقول:

«اظن ان كارولين تبدو رائعة.. واتمنى لو انني أبدو هكذا في البيكيني».

وحاولت السيدة كورتيس الانسحاب قبل ان تصدم:

«اوه.. حسناً يبدو انني قديمة الطراز».

ولكن ايان كان لديه نظرة اخرى، فقال:

«لا اوافق معك يا امي.. فكلمة الطراز القديم ترسم صورة لسحر، ومرح العالم القديم، في الشرف، والوفاء، والاخلاص في قسم الزواج.. والاشياء السخيفة الصغيرة التي كانت تعني اشياء كثيرة.. اوه.. لا.. لن ادعوك الطراز القديم امي. فلم يكن لديك الوقت الكافي لمثل هذه التوافه في جاك. كما يعرف الجميع».

صيحة جاك باسمه، لحقت بقليل صيحة خرجت من بين شفتي ايفا، وجمد وجه السيدة كورتيس. وحدها كارولين لم تصدم بما قاله.. بل العكس، فقد تذكرت التنافر بينهما، ودهشتها الحقيقية ان الامر لم ينفجر قبل هذا. ومع انها بدأت تتعاطف مع اذلال امه، الا انها لا تستطيع الانكار بأن السيدة كورتيس هي التي جلبت هذا على نفسها.

ووقف جاك ليتقدم ويقف الى جانب امه، ثم استدار الى اخيه بغضب:

«الا يمكن لك ترك ذلك التاريخ القديم ميتاً ومدفوناً يا ايان؟ يا الهي.. انك لم تعاني بسببه.. كنت صغيراً جداً.. وامي كانت

متأكدة انك تلقى رعاية جيدة.. فلماذا لا تنسى كل هذا؟».

«وهل تعني ان انسى كيف مات ابي؟».

«وابي مات كذلك. أتذكر؟ ولا ألوم امي على هذا».

«ولكن اباك لم ينتزع روحه بيده من على طرف قطعة من الحبال».

«ولو فعل هذا لكنت نظرت الى الوضع بشكل مختلف تماماً» وتابع جاك:

«ايها النذل! لو كان ابوك بنصف الكراهية التي أنت عليها.. فلست مندهشاً لهرب امي منه..».

وقفة ايان من على الكرسي كانت سريعة وقاتلة.. والتفت أصابعه الطويلة حول ياقة قميص جاك واخذ يهزه..

«ستسحب كلامك هذا».

وكان في كلامه برودة قاتلة.. ولم يجرؤ احد على التدخل سوى كارولين. فقفزت واقفة ووقفت بينهما واستدارت الى ايان وصاحت متوسلة:

«لأجل الله.. الا يمكن لكليكما ان تذكرا ان لديكما ضيوف في المنزل؟».

وحدق بها ايان بحنان.. فارتجفت تحت نظرته المتأملة.. هكذا كان ينظر اليها قبل ان يتخاصما ويخرج بغضب من شقتها منذ ثلاث سنوات. وامتد الوقت بهما في الخصام.. ولكن عندما وضعت يدها على صدره ارتخت قبضته عن عنق اخيه.. فاغتنم جاك الفرصة ليهرب...

وتكلمت السيدة كورتيس فكان على كارولين اجبار نفسها ان تستدير وتنظر اليها:

«اجل.. اجل عليكما معاً التوقف عن الخصام.. وكأنما الامر بسيط ولا يستاهل. جاك! ارى ان عليك الاعتذار الى ايان للطريقة التي تكلمت بها. وايان يجب عليك ان تحاول السيطرة على طباعك. لطالما كنت ولداً طائشاً، تتصرف دون تفكير. لكل منا ذكرياته الشخصية تطارده عن ماضيه ولكنني واثقة، بعد كل ما فعلته لأجلك انك لا تحقد علي حقاً».

وابتعدت كارولين عن ايان الذي عاد الى كرسيه. وبدا مرهقاً مما حدث. وتقدمت ايفا على الفور تسأل اذا كان يريد شيئاً. جاك من جهته، تذمر لكنه اطاع امه.. واحست كارولين بالغثيان لسماعها كلمات الطاعة التي اعتذر بها.. وما ان تتمكن من الخلاص، فستركض الى خلوة غرفتها.

وخاطبت السيدة كورتيس ابنها عند العشاء:

«متى سترحلان يا حبيبي؟».

«بعد الغد.. سنطير الى ناسو، وستغادر طائرتنا الى مونريال في نفس الليلة».

«يومان بعد؟ لقد مرت عطلتكما بسرعة.. يبدو لي انني لم اشاهدك بما يكفي».

«لقد امضينا وقتاً طويلاً معاً يا امي ولن يطول الوقت حتى اعود».

«عند الميلاد.. ولكن هذا ليس قبل خمسة اشهر! اوه.. لو انك تعيش هنا!».

«لو ان ايان يوافق على فتح عيادة لي في هاملتون! فلن اكون سوى على مسافة قصيرة منك. عندها يمكن ان تسكني أنت معي!» قال جاك بغضب.

«طبعاً.. سيكون هذا مثالياً. ولكنك لن تصل الى نتيجة اذا كررت ما فعلته معه اليوم!».

«اعلم.. اعلم.. ولكن أتظني انني سأتركه ينجو بما قاله لك. هل ظننت هذا؟ الخنزير الساخر! كنت على وشك تحطيم اسنانه وجعله ليبتلعها!».

«أفهمك يا بني.. ولكن هذا ما كان ليندمل بسهولة فوالده لم يستطع ايلامي، ولن يستطيع ابنه كذلك. فاطمئن استطيع السيطرة على ايان!».

ودفعت كارولين كرسيها الى الوراء ووقفت قائلة بين شفتين مضغوطتين:

«سأخرج لأتمشى».

في الخارج كان جو الليل بارداً ونظيفاً بعد الجو القذر الذي احاط بالسيدة كورتيس وابنها. كانت في الماضي تهتم بما يظناه بتصرفاتها.. ولكنها عرفت الآن ان عليها الخروج من هذا المنزل.. بأي ثمن.. واخذت تعيد النظر بأفكارها، وادركت كم هي سخيفة وما ظنته بنفسها انه عيب، كان في الواقع مجرد غيرة، ولو ان ايان لا يزال نفس ذلك الرجل الذي احبته.. لشكت في استطاعتها الحياة هنا حتى هذا الوقت...

ما هو الثمن الذي ستدفعه الآن لتلك الثقة الفارغة بنفسها وتلك الحماية التي اعتقدت ان جاك يمكن ان يوفرها لها؟ ما كانت ستنجح مطلقاً وحدها، حالة ايان من فقدان الذاكرة انقذتها.

واحست بأنها ضائعة في بحر لا قرار له تواجه المخاطر التي لم تكن تتوقعها.. ماذا يريد ايان منها؟ لماذا يذلها هكذا؟ وكم يذكر

من تلك الاشهر قبل حادثته؟.

«كارولين..».

سماعها اسمها بشكل لم تتوقعه جعلها تستدير مجفلة وقلبها يخفق.. وشاهدت جاك وقد خرج لينضم اليها، واحست باحساس لم ترحب به من الاحباط وهو يقف الى جانبها:

«كنت ابحث عنك. لقد ذهبت امي الى الفراش. لم تكن تحس بأنها على ما يرام. واظن اننا يجب ان نتكلم».

«اوه.. صحيح؟».

«اجل. لقد اخبرتني امي بشيء قبل العشاء وجدته مزعجاً. واردت محادثتك عنه. له علاقة بإيان».

«ايا.. ايان؟».

«هذا صحيح. قالت لي انها تظن انك تعرفين ايان قبل مجيئك الى هنا.. تقول انها واثقة انها شاهدت لوحة لك في مرسمه».

وسبح وجه كارولين باللون الاحمر ولكن ضوء القمر لحسن حظها، لم يكشفها.. وكان جاك ينتظر ردها.. وسألته:

«متى.. متى قررت هذا؟».

«في تلك الليلة.. ليلة تعشى معنا آل درايدن. لقد سمعت العجوز جيفري يسألك ما اذا كان قد شاهدك في مكان ما.. وهذا ما لمس وتراً في ذاكرتها».

لقد انتظرت كثيراً لتتفوه بشكوكها، وها هي قبل رحيلهما بليلتين زرعت بذرة الشك في قلب جاك. ربما اعتقدت انها سوف تكذب عليه، وبعدها سوف تعرضها لاذلال الكذب الذي تبتته. ولكن لماذا تريد خلق مثل هذا الوضع وخاصة بعد شجار ولديها مباشرة؟ وكان جاك لا يزال ينتظر، وقال:

«حسناً؟ هل هذا صحيح؟ هل لدى ايان صورة لك في مرسمه؟».

«لست ادري.. وكيف لي ان ادري؟».

«ربما كان علي ان اقول هل يمكن ان يكون لديه صورة لك؟ كارولين هل رسمك ايان من قبل؟».

«اتعني قبل ان اجيء الى هنا؟».

«تعرفين ما اعني..».

«اجل».

فحدق جاك بها غير مصدق:

«اتعني.. انك وايان..».

«اعني انني كنت اعرفه في مونريال منذ سنوات. ولكنه لا يذكر هذا».

«وماذا تعني؟».

«اعني انه نسي.. وهذا صحيح.. لن اكذب عليك».

«وماذا تعنين اذن؟ انت لم تقولي لي انك تعرفينه».

«وانت لم تسألني».

«ولكن كيف.. متى..».

«وهل هذا يهم؟».

«بالطبع يهم.. يا الهي! وتركتني اؤمن ببراءتك؟».

«وماذا يفترض ان تعني بكلامك؟».

«اعرف اخي. واعرف اي نوع من السمعة كانت له قبل الحادثة. ولا يمكن له ان يرضى بالانتظار كما انتظر انا لمعاشرتك!».

ورفعت كارولين يدها لتصفع وجهه الساخر ولكنها توقفت،

فلماذا تحس بالغضب لكلامه؟ انها الحقيقة! لقد اغواها ايان.. وهي سمحت له.

«حسناً؟ هل انا مصيب بكلامي؟ ارى هذا في عينيك. وكنت ستتزوجيني دون ان تخبريني!».

«لا!».

«وماذا تعنين بلا؟ فأنا لم اسمع منك هذا من قبل، لولا امي..».

«اعني بلا.. انني لا لن اتزوجك. ولم اقل ابداً انني سأتزوجك.. انت من افترضت هذا».

«ولكن.. ولكن.. هذه العطلة..».

«القصد منها ان تكون عطلة.. وانا شاكرة..».

«شاكرة؟ تركتني اجيء بك الى هنا، واصرف المال عليك..».

«سأرد المال لك. اذا اعلمتني كم هي ثمن التذكرة».

«وكيف ستدفعين لي ثمن اقامتك؟ هذه جزيرة خاصة! انه منزل امي..».

«ومنزل ايان. وكما استمرت امك بتذكيري، هو من دعاني الى هنا.. اليس كذلك؟ لذا ربما علي ان ادفع له!».

وحاولت الاستدارة ولكن يده الثقيلة على كتفها ادارتها نحوه، وتمتم متجهماً:

«واعتقد انك وايان قضيتما اوقاتاً ممتعة على حسابي.. ايتها العاهرة!».

«جاك.. ايان لا يحبني حتى.. صدّق، فهذه الحقيقة والآن لو سمحت..».

«ولكن ماذا عني؟ ماذا عنا؟ لن اتركك تتخلين عني».

«ماذا تعني؟».

«اعني لماذا لا احصل على ما يبدو ان الجميع حاصل عليه؟ لقد كنت غبياً لقد فهمت هذا الآن. ويبدو انك لا تتجاوبي الا مع المعاملة القاسية».

وامتدت يداه لتداعبها بخشونه وفظاظة، فأجفلت.. واستطاعت بتراجعها خطوات عنه ان تخلص نفسها. ولكنها بهذا فقدت توازنها، واستطاع ان يجذبها نحو صدره. فقال لها:

«هكذا افضل.. انت تعرفين انني قد اسامحك في كل شيء.. عندما تكوني بقربي هكذا. ولكن بعد ان نتزوج سأقتلك اذا وجدتك مع رجل آخر!».

وقاومته لتتخلص ثانية ثم قالت تتلفظ كل كلمة على حدة:

«انا.. لن.. أتزوج.. منك! فلأجل الله فكر قليلاً! اتريد ان تخرج امك الى هنا لتجدنا هكذا؟ وماذا ستقول..».

«امي ذهبت الى النوم».

وفقد صبره وهو يحاول فك ازرار قميصها، وعلقت الازرار في فتحاتها لسرعته واستعجاله.

«همم.. كم انت جميلة.. دعيني انظر اليك..».

صوت محرك سيارة كان أجمل موسيقى سمعتها في حياتها حتى ولو كانت مزعجة كصوت سيارة ايفا الصغيرة، وتصاعد صوت العجلات وقد شدت ايفا المكابح بقدمها، مما اضطر جاك على الابتعاد.

«حسناً.. سأتركك الآن.. ولكن لا تقفلي باب غرفتك الليلة الا اذا اردت ان احطمه».

فحدقت كارولين به بوجه شاحب. ثم ودون كلمة استدارت لتركض نحو المنزل وهي تمسك بقميصها المفتوح حول جسدها، وساورها توق لأن تذهب مباشرة الى امه لتقول لها ماذا فعل ابنها الغالي.

- ٨ -

تساءلت كم سيمضي من وقت قبل أن يلحق بها جاك الى غرفتها. ليس لديها اي شك انه سيفعل.. كلمات امه حولها وحول أخيه كانت كافية لاثارة شجاعة ليست اصلاً فيه. ولم تلمه على تصرفاته بل لامت امه. فلولا تشجيعها له لما تصرف معها هكذا.

ووقفت في الظلام على الشرفة.. هل بامكانها اللجوء الى ايان للمساعدة؟ هل تجرؤ ان تقترب منه؟ وما هي التفسيرات التي قد يطلبها؟ ولماذا تفترض انه سيكون أفضل من أخيه؟ لقد أذلها ما يكفي في الماضي، فكيف ستعرض نفسها الى أكثر بالاعتراف له بأنها غير قادرة على التصرف في حياتها؟.

www.liilas.com
مـــرمـــوريـــة

فجأة لمحت اليخت يلمع تحت ضوء الشمس وهو يرسو في المرفأ الاصطناعي. . ويتحرك ببطء فوق المد المرتفع. . وعلمت ماذا عليها ان تفعل.

بسرعة غيرت ثيابها فارتدت بنطلوناً وقميصاً وحذاء من المطاط، واخذت بيدها كنزة صوفية في حال أحست بالبرد وغادرت الغرفة.

يجب عليها ان تخرج عبر غرفة النباتات المؤدية الى الحديقة. فلن تجرؤ على المخاطرة باصدار أي صوت. وكانت الأبواب الزجاجية صامتة. . وفي الخارج ترددت قليلاً في اقفال الأبواب قبل ان تندفع راكضة بقرب البركة، ثم نزلت الدرجات المؤدية الى تحت.

بدأت تخطوا فوق درجات السلم نحو الميناء. فقد وصلت الميناء دون ازعاج. ولارتياحها أكثر، لم تشاهد احداً حول المركب قرب الرصيف. الاصوات الوحيدة كانت تأتي فقط من الكوخ الابيض القريب. وبعد نظرة سريعة حولها. فكت قارباً صغيراً وقفزت بصمت اليه، وتسلقت بسرعة الى سطح المركب.

وكان اليخت مجهزاً تجهيزاً جيداً، ووجدته يوم زارته في ضوء النهار فاتناً، ولكن دون اي ضوء ما عدا نور القمر وجدته مخيفاً. . .

وابسط شيء تفعله ان تجد مكاناً تنام فيه لبضع ساعات. وضوء النهار سيوقظها. وبقليل من الحظ ستتمكن من العودة الى الفيلا دون ان يلاحظها أحد. ما عدا جاك ربما. ووجدت مقعداً خشبياً طويلاً فتنهدت واستلقت عليه لتغط في نوم مرهق.

واستفاقت على صوت غير مألوف. في البداية ظنت نفسها

عادت الى غرفتها في منزل شقيقتها اليان. وما تسمعه هو صوت الزحام العادي للسيارات في الشارع. ولكن بعودة وعيها الكامل. أدركت ان هذا الصوت هو صوت اهتزاز كان يهز الفراش الرقيق الذي تنام فوقه!.

اهتزاز! ومع الذكرى توضحت لها معالم الصوت. . انه صوت محرك، محرك اليخت. شخص ما يستخدمه لاخراج اليخت من الميناء!.

وانفتح الباب وراءها فاستدارت خائفة تخنق صرخة. وتسارعت أنفاسها لرؤية ايان يتكيء الى الباب، والتعبير الساخر يرسل في نفسها نوبة غضب:

«كنت تعلم انني هنا اليس كذلك؟ واين تظن انك ستأخذني؟».

«ما أستطيع قوله. انني لا أتفحص ما في المركب قبل الاقلاع به».

«الست محتاجاً لتفحص الخزانات للوقود او اقفال الفتحات او اي شيء؟».

«هذا لا يتم في جناح النوم. وكيف لي ان اعرف ان فيه شخص مختبيء؟».

«لست مختبئة. الم تكن حقاً تعرف انني هنا؟».

«حسناً. . انت لا تشخرين. . استطيع الانكار، ولكنني لن افعل. اجل كنت اعرف. وفي الواقع كنت اجلس على الشرفة عندما هربت ليلة امس. فأحسست بالفضول ولحقت بك».

«اتعني انك أمضيت الليل على متن اليخت كذلك؟».

«لم اقل هذا. حال ان اطمأنيت على سلامتك. عدت الى

الفيلا. وعدت الى هنا قبل ساعة تقريباً».

«وهل لحقت بي بالسيارة ليلة امس؟».

«لا».

«ولكن..».

«انا لست عاجزاً كما تحب امي ان تعتقد. استطيع ان أسير، كما تعلمين، ليس بسرعة، وليس برشاقة ولكنني أسير».

«حسناً. شكراً لك.. شكراً على اهتمامك بسلامتي».

«لم يتعبني هذا! لقد حضرت بعض القهوة أتريدين القليل؟».

«ولكن علي العودة!».

«ليس الآن».

وخلعت الكنزة الصوفية وهي تخرج.. كم كانت شاكرة للدفء الذي وفرته لها ليلة امس ولكنها الآن تحس بالمرارة. ووجدت ايان يقف قرب الموقد وعندما وصلت اليه، أعطاها كوباً من القهوة. وانشغت القليل:

«همم.. كم هذا لذيذ..».

واشار اليها ايان بأن تصعد الى السطح.

واخذ ايان يشرح لها ما كان يقوم به من اعمال روتينية بالنسبة له على متن اليخت.. ونسيت كارولين خلافاتهما خلال البهجة التي أحست بها وهي تتعرف على أمر جديد عليها. فقد كان دوماً قادراً على شرح اكثر الأشياء تعقيداً بسهولة كاملة.. واصغت كارولين الى ما كان يقوله باهتمام ظاهر. كانت تحدق في وجهه الاسمر بحماس عندما لاحظت انه توقف عن الكلام ليحدق بها فقط، فأشاحت بوجهها المحمر حرجاً. وسألها بصوت خشن فضولي:

«هل ستقولين لي لماذا فضلت قضاء ليلتك في اليخت بدلاً من النوم في فخامة فراشك؟».

«كنت.. قلقة. تابع ما كنت تقوله لي عن الابحار انه أمر مثير للاهتمام».

«ولكنني مهتم أكثر بالسبب الذي دفعك الى ترك الفيلا. ما كان عليك ان تقلقي.. ما كنت انوي تكرار ما حدث في الليلة التي سبقت سفري!».

وارتفع رأسها بحدة.. فحتى هذه اللحظة لم تكن لتظن بأنه قد يلوم نفسه على هروبها.. الامر سخيف.. ولم تستطع سوى التحديق به.. ثم اشاحت بوجهها. لتتطلع نحو جزيرة صغيرة بعيدة قليلاً عنهما. ثم قالت:

«انت مخطيء. اعني ان هربي من الفيلا ليس له علاقة بك».

«لا؟».

«لا».

«وهل كانت الصدفة التي أرسلتك تركضين هاربة ليلة امس؟ هل ستخبريني انك قضيت الليالي التي كنت فيها غائباً على متن اليخت؟».

«لا.. ايان.. صدقاً.. عودتك الى المنزل لا علاقة لها بهذا».

«اذن.. اذا لم اكن انا السبب فلا بد ان يكون جاك.. ماذا يمكن ان يكون قد فعل ليخيفك؟».

«لم يخيفني».

«اوه بالطبع، وكيف سيتمكن من اخافتك؟ فأنتما تعرفان بعضكما جيداً».

«اذا كنت تعني بهذا ما افكر به.. فقد قلت لك».

«اعرف ما قلتيه لي. حسناً ماذا فعل بك؟».

وبدت كارولين عاجزة امامه للحظات ثم احنت رأسها لتقول متمتمة:

«اوه.. لقد هاجمني. كان هذا مهين.. انا لم أعتد..».

«كارولين! اريد معرفة ما قاله لك جاك.. واعني ان أعرف. هل لمسك؟ هل كان عنيفاً معك؟».

«لقد مزق فستاني. فهل اكتفيت؟».

«ليس بالكامل.. ولكن استطيع الانتظار».

«وماذا يعني هذا؟».

وعندما لم يرد نظرت من حولها بقلق وسألته:

«اين نحن؟ الا يجب ان نعود؟ جاك وامك.. سوف يتساءلا عني».

«لا لن يتساءلا.. فقد تركت خبراً مع دايفد اقول لهما انني أخذتك للابحار. فهل يطمئنك هذا؟».

«اعتقد هذا».

«لا يظهر عليك هذا البؤس! لقد كنت تتمتعين بالرحلة الى ان بدأت اسألك.. لقد انتهى الاستجواب! ما رأيك بالسباحة؟».

«السباحة؟».

«اجل.. السباحة».

ورفع يده ليشير الى جزيرة صغيرة أمامهما:

«هناك مكان مناسب ويمكننا ان نرسو قرب الشاطيء. فالمياه ليست عميقة جداً، هذا اذا كنت خائفة».

ونظرت كارولين دون رغبة الى الاتجاه الذي كان يشير اليه:

«ما هي هذه الجزيرة؟».

«احدى الجزر المنخفضة التي يغمرها المد ليلاً، ولا اعتقد ان لها اسم».

«ولكن ليس معي ثوب سباحة».

«ولا انا.. اتظنين حقاً اننا بحاجة اليه؟».

«لا يمكن ان تكون جاداً؟».

«ولماذا لا؟ فأنا اعرف شكلك، ولكن اذا كنت تخجلين فلا تنظري الي».

ودون ان تعطيه رداً تقدمت لتقف عند مقدمة اليخت وظللت عينيها بيدها لتراقب الارض التي تقترب منهما.

كانت جزيرة صغيرة كثيرة النبات ومهجورة. لها خليج باستدارة الصدفة من الرمال الشاحبة عند اطراف الخليج. المياه كانت ألوانها تتدرج من الازرق القاتم الى أشحب الوان التركواز، واحست كارولين بحرارة الشمس فوق كتفيها وفكرت كم ستحس بالغبطة لأن تعوم في عمق هذه المياه الحريرية.

ولم تشعر بأن ايان قد رمى ياطره الى ان جاء ليقف قربها قائلاً:

«حسناً؟ ما هو قرارك؟ هل اغطس لوحدي، ام ستشاركيني المغامرة؟».

«قد يشاهدنا احد».

«اذا كان هذا ما يقلقك فانسي.. فالجزيرة غير مأهولة.. ولكن قرري.. فليس امامنا اليوم كله».

وتقدم الى جانب المركب، وسمعت صوت تصادمه مع الماء وهو يقفز فتحركت لتنظر اليه.. وشاهدت رأسه الاسود يصعد فوق

الماء على بعد قليل من المركب. وعندما شاهدها تراقب رفع ذراعه ملوحاً وصاح بها:

«هيا.. الماء دافئة. اعدك ان لا أنظر اليك».

فتراجعت كارولين ولفت ذراعيها حول نفسها انها راغبة في الانضمام اليه، فهي تحس بالحرارة تحت البنطلون، حتى ان قميصها الحريري ملتصق الى ظهرها من العرق. كما ان ايان يعرفها، كما هي.. واكثر مما يعتقد.

وتطلعت لتتأكد من وجوده على الجانب المواجه للبابسة من المركب، وخلعت ثيابها لترمي بنفسها من الجهة الاخرى، ثم اخرجت رأسها من الماء تشهق لبرودتها المفاجئة.

وعندما سبح مقترباً منها، احست بالخجل فاستدارت متظاهرة انها لم تره. وعندما وضع يده على رأسها واغرقها متعمداً خرجت تشهق بقوة، لتجده يضحك على بعد قليل منها:

«لقد قلت انك ستبقى بعيداً عني..».

«لا.. لم اقل ذلك».

«قلت انك لن تلمسني اذن».

فصحح ما قالته وهو يضحك:

«قلت انني لن انظر اليك. ولم اقل شيئاً عن ملامستك».

«انت من دون خجل تماماً».

«اجل.. هذا صحيح.. اليس كذلك؟».

وقبل ان تتمكن من الهرب منه قبض على يدها قبضة حديدية، فاستدارت نحوه تحاول اغراقه صائحة:

«اتركني!».

«بكل سرور».

ولكنه غطس تحت الماء قبل ان يتركها وجذبها معه.. ومرة اخرى اخرجت رأسها من الماء شاهقة لتجده قد سبقها:

«أيها.. أيها..».

«الخنزير؟ الوحش؟ النذل؟» وضحك.

«خنزير».

وابتعدت عنه ثم صرخت برعب عندما مد يده ليمسك بقدمها.. ولكنها مع تذمرها، كانت قد بدأت تستمتع.. فهو بهذا المزاج لا يقاوم، وعندما تركها متعمداً تقترب منه لتغرقه سارعت بالهرب ضاحكة...

ولعبا هكذا لأكثر من نصف ساعة. وعندما اقترح ايان ان يعودا الى اليخت كانت قد نسيت احتشامها، ولكنها احست به فجأة عندما خرجت من الماء، فسارعت للصعود الى المركب قبله وقفزت نحو ثيابها. وصاح بها أحداً من خلفها:

«انتظري.. لا تبللي ثيابك، سأحضر لنا منشفتين».

«حسناً».

وعاد بعد لحظات ليعطيها منشفة، فلفتها بأصابع مرتجفة حول نفسها. ثم استدارت لتشكره. فتمتم بخشونة:

«لأجل الله كارولين، لا تنظري لي هكذا! ارتدي ثيابك قبل ان أفعل شيئاً قد نندم عليه».

«أنا.. آسفة..».

وعندما أخذت اصابعه تتلمس المنشفة التي تلفها، قادت تلك الاصابع راغبة نحو عقدتها البسيطة.. ولم يعودا يفكران بما هو صواب وما هو خطأ. بل ذابا في مشاعرهما الرقيقة، وفي الجنون الذي لفهما. وسمعته يهمس:

«آه.. كارولين.. أتعرفين ماذا فعلت بي.. ماذا فعلت بي دوماً..».

«وهل فعلت شيئاً».

بعد دقائق طويلة رفع رأسه المدفون في شعرها مبتسماً فحدقت به:

«ماذا عنك وعن ايفا؟».

«وماذا عنها؟».

«لقد ظننت.. اعني.. انت وهي..».

«اوه، هكذا اذن. حسناً لا. فأنا وايفا لم نكن ابداً بهذا القرب».

«لماذا قلت لي انني لن أعرف ماذا فعلت بك؟ ماذا قصدت بهذا؟».

«وماذا تظنين انني أقصد؟».

«انا من أسألك».

فتفرس بها بفضول لبضع لحظات، ثم دون ان يجيب وقف:

«انا بحاجة للابتراد. بامكانك أخذ دوش تحت، اما انا فسأستخدم المياه الطبيعية».

ارادت ان تؤخره، أن تصر على اسئلتها الى ان تعرف، ما اذا كان قد عرف من هي. ولكنها لم تقدر. فعندما فتحت فمها لتتكلم لم تخرج الكلمات منه.

وقفز الى الماء دون ان تتمكن من قول شيء.

كان ايان قد ارتدى ثيابه في الوقت الذي خرجت فيه كارولين من المقصورة.. وبدأ بسحب الياطر استعداداً للابحار. وكان اعترافه بوصولها قصيراً وبارداً وجلست على المقعد الخشبي،

ترتجف بتوتر، يبدو من الصعب التصديق ان هذا الجلف البارد كان منذ أقل من ساعة يرتجف بين ذراعيها.

وهزت رأسها متسائلة: ما هو الخطأ الذي حدث؟ ماذا قالت كي يتغير مزاجه؟ لماذا يعاملها الآن هكذا؟ خاصة بعد ان حصل على ما يريد منها، فهل كره ان تعطيه ما طلب؟.

• أخذ يرفع الشراع فاندفعت نحوه، عارضة المساعدة. فقال بخشونة:

«أستطيع تدبير امري. واذا اردت فعل شيء نافع، فأضيفي القليل من القهوة. فأنا بالتأكيد بحاجة لها».

صنعت القهوة وحملتها بصعوبة الى فوق.. واعطته كوباً قبل ان تأخذ لنفسها. ثم جلست الى جانبه مبتسمة وقالت:

«الساعة الآن الحادية عشرة، ويجب ان نصل الفيلا قبل الثانية عشرة».

فهز رأسه بموافقة صامتة.. فأكملت:

«تصور في مثل هذا الوقت غداً سنكون في طريقنا الى مونريال».

واخيراً اثاره هذا، فقال بخشونة:

«غداً؟ وهل ستسافران غداً؟».

«اجل.. ألم تكن تعلم؟ يجب أن يكون جاك هناك بعد يومين».

«بالطبع عليك الذهاب معه. ومتى ستتزوجان؟».

«أنت تسألني هذا؟».

«ولماذا لا أسألك؟ فلهذا انت هنا. اليس كذلك؟ بسبب.. حسناً.. لا يعني انني وجدتك مرغوبة بأي شيء.. اليس كذلك؟

فأنت تعرفين ما أنت فاعلة عندما قبلت».

«وماذا يعني هذا؟».

«تعرفين! اوه.. هيا! لنتوقف عن خداع أنفسنا.. أيمكن كلانا يعرف لماذا جئت الى هنا. كي تنتقمي مني.. اوه.. اجل.. انا أذكرك يا كارولين.. اذكر كل شيء. يمكن ان أكون نسيت لبضعة أيام. ولم اعد اذكر صدقاً، ما حدث بعد الحادثة مباشرة. ولكن بنهاية اول اسبوع اصبحت واثقاً جداً مما حدث».

ولم تستطع كارولين قول شيء.. بل وضعت كوبها من يدها وحدقت به.. فتابع بنفاذ صبر:

«اوكي.. لقد اصبحت تعرفين الآن. هل يساوي هذا بيننا كان يجب ان اقول لك هذا قبل الآن. ولكنني اردت ان اعرف الى اي مدى قد تصلين».

هذا شيء مؤلم.. ودون ان تستطيع منع نفسها، صفعته وهاجمته وقاومته بقدر ما أحست بقساوته وخيانته.

«أيها.. أيها الخنزير.. اوه.. اوه.. كم أكرهك!».

«ولماذا؟ ماذا فعلت؟ ألأنني اوضحت الأمور.. كما كنت أتوقع منك منذ ان وصلتي الى هنا؟».

«ولكنك كنت تعلم.. كنت تعلم ان امك ستقول لي انك فقدت ذاكرتك. فهي تؤمن بهذا.. او هكذا تقول».

«احياناً أتساءل عن هذا. ربما يناسبها هذا، كما ناسبك».

«ماذا تعني؟».

«اوه.. هيا.. انت تعرفين انني لو شكيت بمن تكونين لأصبحت الامور معقدة».

«ولكنك كنت تعرف».

«ولكنك لم تعرفي بهذا».

«انت تكرهني الى هذا الحد؟».

«لا اكرهك بالمرة.. اردت ان اكرهك، يا الهي كم اردت. ولكنك كنت تعرفين ان عليك سوى الفرقعة بأصابعك لأجيئك لاهثاً!».

«كيف يمكن ان تقول هذا؟».

«ولماذا ننكر انني تركتهم يعتقدون انني لا استطيع تذكر ما حصل؟ أتظني انني كنت ارغب فيما يذكرني بما فعلته لي؟».

«وماذا فعلت؟ الا تعني ما فعلته انت بي؟».

«وماذا فعلت لك؟ ماذا فعلت؟ لقد أعطيتك كل ما على ان أعطيك! كنت أحس بالجنون في كل مرة يتحدث فيها رجل اليك، او يبتسم لك، او يلمسك! اوه.. اجل يا كارولين لقد اخترت سلاحك جيداً.. أخي من بين كل الناس!».

وامسك بها بقوة.. وحاولت تحرير نفسها، وعندما لم تستطع توسلت اليه:

«لم يكن الأمر هكذا.. ليس هكذا!.. لم اكن اعرف من هو جاك عندما التقيته!».

«لا؟».

«لا.. وكيف لي ان اعرف؟ لم تذكره امامي مطلقاً. فكيف من المفترض ان اعرف؟».

«وعندما فعلت؟ اعني اكتشفت الأمر. كيف احسست؟».

«لا اذكر!».

ولكنها كانت تذكر! تذكر ذلك الإحساس بعدم التصديق! الألم المفاجيء مثل السكين يغرز في أحشائها. تذكر الارتباك المرتجف

الذي اخرجته مع شهقتها، وقال لها:

«لا اصدقك.. لا بد انك احسست بشيء. لذا قررت ان تنتقمي بأبشع طريقة وحشية ممكنة».

«لا..! لم يكن الأمر هكذا».

«انا.. انا.. لم اصدق باديء الامر».

«هذا ما اصدقه».

«أيان ارجوك اصغي الي.. ليس الامر كما تظن.. فأنا لم اجيء الى هنا كي أعاقبك..».

«ربما لتعاقبي نفسك؟».

«ولماذا قد افعل هذا؟».

«انت تعرفين لماذا.. فلماذا فعلت هذا يا كارولين؟ لماذا لم تتصلي بي؟ لماذا انتظرت كل هذه المدة؟ ام ان حالتي كانت اسوأ مما تستطيعين تحمله؟».

«الحالة.. التي كنت فيها؟ عما تتحدث؟».

«انا! اتحدث عن الحالة المريعة التي كنت فيها بعد الاصطدام لم تتحملي حتى ان تأتي لتزوريني.. هكذا قالت امي. لم يأت احد لزيارتي، ولا مكالمات، والصحافة بقيت بعيدة.. ولكن ولا زائر!».

«هذا غير صحيح.. لقد جئت لزيارتك».

«جئت لرؤيتي؟ لماذا لم تقل لي امي..».

«لا.. لا.. لقد جئت المستشفى ولكنني لم ارك. لم.. لم يسمحوا لي.. قيل لي انك منعت ان يسمحوا بإدخالي».

وحدق بها غير مصدق:

«اوه.. هيا.. لم اكن في حالة لأمنع اي شيء!».

«لم اكن اعرف هذا. حتى انني لم اعرف ان اصابتك كانت سيئة قبل المجيء الى هنا.. فأنت اخفيت الامر عن الصحف.. انت قلت هذا. ربما تكون امك.. اوه يا الهي، يجب ان تكون هي..».

«لا.. لا يمكن ان تفعل هذا».

«ولماذا لا؟».

«ولماذا لا؟ لأنه ليس هناك من فائدة..».

فقاطعته:

«ربما هناك فائدة.. فهناك من منعني من رؤيتك».

«حسناً.. ولماذا لم تعودي ثانية؟ اذا كنت، اعني لك الكثير فلماذا لم تعيدي الكرة؟».

«لم استطع».

«بالطبع.. كنت في المستشفى كذلك، الم تكوني؟ وكم بقيت هناك؟ يومان؟ ثلاثة؟كم بقيت؟».

ولم تستطع اجابته.. هذا كثير، بل كثير. ولن يفهم، وليس لديها القوة لأن تجادله.. اضافة الى هذا كيف يمكن ان تقول ان ما حدث لها؟ وكيف سيشعر؟ وهل تجرؤ على خسران احترامها لنفسها بالاعتراف له؟.

وقال لها:

«حسناً.. ربما يمكن لك ان تشرحي لي لماذا لم تبلغيني انك تريدين هجراني..؟ الم يكن لي الحق ان اعرف؟».

«لست ادري».

«ألانني رفضت الزواج؟».

«ما كان بإمكاني هجرك لمجرد رفضك الزواج».

«ولكن هذا ما حصل».

«لم يحصل مني».

«ممن اذن؟».

«لا اريد التحدث عن هذا.. ولا اريد التحدث اليك ثانية».

واجبرها بيده على الاستدارة نحوه:

«ولكننا سنتحدث معاً ثانية يا كارولين. اذا لم يكن الآن، ففيما بعد. عندما اصل الى حقيقة الامر».

«لا..».

«بلى ولا حاجة لك لتوضيب حقائبك. فلن تسافري في الغد.. اريدك ان تكوني حيث استطيع ان اجدك.. والله يعلم انه طال الوقت كثيرا قبل ان نلتقي مجدداً.. ولن اتخلى عنك ثانية. ليس قبل ان أكتفي».

«لا يمكنك اجباري على البقاء».

وبرقت عيناه بشكل خطر، وقال متحدياً:

«حاولي ان تسافري».

ولم يقل اي شيء بعد هذا. ولا هي كذلك. وتساءلت عما اذا كان هناك مجال لاصلاح ما فسد، واحست بالصدمة لذكرى تلك الايام التي قضتها معه.. من غير المعقول ان يتمكن رجل واحد ان يفعل بها ما فعل. واغمضت عينيها لتمنع ذلك التصور المستمر في تعذيبها.

المرفأ الصغير كان يضج بالحركة عندما ظهر أمامهما.. واخفض أيان الشراع واستخدم المحرك ليناور في ادخال اليخت بين رؤوس الجرف الصخري. ثم انزل المرساة داخل الميناء. ورفضت كارولين مساعدته لها لتنزل الى القارب.. وجذف ايان

الى ان وصلا الى الشاطيء. وشاهدت كارولين دايفد على الشاطيء ينتظرهما.

واحست كارولين على الفور بالقلق وسعت للتفكير سبب يدفعه للانتظار.. هل حدث شيء؟ هل والدة أيان مريضة؟ ام ان جاك ارسله في مهمة خاصة به؟ ومد دايفد يده ليلتقط الحبل الذي رماه له أيان. وربط القارب ثم مد يده ليساعد سيده في الصعود الى الرصيف، وجهه الاسود مليء بالقلق. وقال وهو يمد يده لكارولين:

«كنت ابحث عنك سيدي. انه السيد درايدن سيدي.. والد الآنسة ايفا.. لقد وقع مريضاً.. والآنسة ايفا لم تتحمل الأمر».

«جيفري؟ جيفري مريض؟ ماذا به؟ ماذا اصابه؟ هل عرف به أحد؟».

«السيد جاك سيدي قال انها نوبة قلبية. حدثت خلال الليل. واكتشفت الانسة ايفا الأمر في الصباح.. وجدته على الارض فاقد الوعي!».

«من الافضل ان اذهب الى هناك. خذ الآنسة ماكولي الى الڤيلا يا دايفد وسآخذ السيارة الى منزل آل درايدن».

- ٩ -

«حاضر سيدي».

«هل هناك شيء استطيع ان أفعله؟» قالت كارولين.

«عودي الى الڤيلا وافعلي كما قلت لك. . سأراك فيما بعد».

«لست طفلة صغيرة يا ايان».

«لا . . لست طفلة. صدقيني، هذا آخر شيء يمكن ان أتوقعه، ولعدة أسباب. . ولكن ليس لدي وقت للجدال معك. كل ما أريده هو وعد منك بأن تفعلي ما أقوله ولا تخلقي اية مشاكل اكثر من التي أمامنا الآن».

«وهل لديك مشاكل؟ انت لا تفهم معنى هذه الكلمة!».

وابتعدت عنه راكضة وراء دايڤد.

بدت الڤيلا مهجورة عندما وصلت. لم يظهر أمامها أحد. ومع أن الفطار كان على الطاولة، الا انه لم يبدو أن أحد لمسه بالطبع جاك كان في منزل آل درايدن. وبغياب أيان أحست كارولين بأنها معرضة للخطر.

وأجفلت عندما انفتح باب الحمام في الطابق السفلي، وظهرت امامها السيدة كورتيس ولم تبدو الدهشة على السيدة لرؤيتها.

«اذن لقد عدتي. . ظننت ان القادم انت واظن ان أيان سارع الى منزل درايدن. . اليس كذلك؟».

«لقد اخبره دايڤد ما حصل. ومن الطبيعي ان يذهب لرؤية ما اذا كان يستطيع المساعدة».

«طبعاً. . هل تمتعت برحلتك البحرية؟».

«جداً. فأنا لم أقم برحلات بحرية من قبل».

«صحيح؟ اوه لا. . لا اعتقد. . فالفتيات أمثالك نادراً ما يحصلن على مثل هذه الفرصة».

كلامها كان لطيفاً، ولكنه مع ذلك مهين. وكان على كارولين ان تقسوا على نفسها كي لا تلتقط الطعم. وتعمدت عدم الفهم واجابت:

«لا. . اعتقد هذا. . فالطقس عندنا لا يساعد. وبالنادر ما يجد المرء عطلة مناسبة».

ولم يكن هذا ما عنته السيدة كورتيس. . . وكلاهما يعرف. وأحست كارولين انها ربحت هذه الجولة، وتركتها السيدة بعد لحظات فأحست بالإرتياح.

ولكن الامر لم ينته، فقد كانت السيدة تنتظرها في الردهة. وخرجت كارولين من الحمام فاقترحت عليها تناول القهوة على

الشرفة. وقالت وهي تحث الفتاة على الخروج:

«لقد طلبت من كاترين احضار قهوة طازجة لنا».

«لا أرغب في شيء الآن حقاً. شكراً لك.. انا تعبة قليلاً واريد ان أنام قليلاً».

«بالتأكيد لن تتركيني أتناول القهوة لوحدي؟ على كل انت ضيفة في منزلي. ولم اطلب منك شيئاً حتى الآن».

وأرادت كارولين ان تقول لها أن هذا منزل أيان وانها هي نفسها أوضحت ذلك.. ولكنها لم تفعل. وجلست على الكرسي في ظل الشرفة وقبلت فنجان القهوة الذي قدمته لها كاترين. وقالت السيدة للخادمة:

«ستتناول الغداء بعد نصف ساعة. ولا اظن ان ولداي سينضمان الينا، أظنهما سيبقيان مع ايفا الى ان تصل طائرة الهليوكوبتر».

«هليوكوبتر؟ وهل اخذ السيد درايدن الى المستشفى؟».

ونظرت اليها العجوز للحظات ببرود. ثم هزت رأسها:

«بناء على اقتراح من جاك. فمن الضروري ان يتلقى جيفري العناية الأفضل. ودون المعدات الملائمة فإن معالجة جاك له ستكون محدودة».

«بالطبع.. وكيف حاله؟ هل استطاع جاك تشخيص ما به؟».

«لست ارى ما يمكن ان يكون هذا يهمك. فآل درايدن ليسا صديقان لك. مجرد معرفة. وحالة جيفري من شأننا نحن. وليست من شأنك».

وحبست كارولين أنفاسها للهواء الذي ظهر على صوت السيدة فجأة، ولم تستطع معرفة السبب لمعاملتها هكذا. فردت وهي

تختار كلماتها بدقة:

«حقاً اي سبب يدعوك لدعوتي للانضمام اليك في شرب القهوة.. سيدة كورتيس، اذا كانت حنجرتك تصعد فيك مثل هذه الخصومة».

قالت هذا بكل شجاعة.. وللحظات صعقت العجوز.. ولكن ليس لوقت طويل:

«طلبت منك الإنضمام الي لأنني اردت الحديث معك.. اردت سؤالك ما هي نواياك فيما يختص بولداي».

«ولداك؟ تجعلين الأمر يبدو وكأن لي خططاً لهما معاً!».

«اظن انه لديك.. او كان لديك.. وكلانا يعرف انك كنت تعرفين أيان قبل حادثته. وحال ان عرفت من هو جاك، أنشبت مخالبك به ايضاً».

«هذا غير صحيح!».

«بل هو صحيح. اعرف لقد كنت هناك ليلة جئتي الى المستشفى تتوسلين لرؤيته. عرفت من أنت لحظة وقع نظري عليك!».

واطلقت كارولين صرخة مصدومة:

«أتعنين.. انك انت..».

«من ابعدتك؟ اجل ولا اخجل من الإعتراف.. فأنت لا تناسبين أيان.. أعرف هذا كذلك.. ولقد أثبت صدق حدسي!».

«لا..».

وقاطعتها العجوز تؤكد على مضامين كراهيتها:

«بلى.. حال ان سمعت اسمك، كانت لدى الشكوك وعندما شاهدتك..».

فقاطعتها بدورها:

«لماذا تركتني اجيء الى هنا اذن؟ من الواضح ان لك تأثير على جاك فلماذا لم تمنعيه؟».

«وكيف استطيع؟ فقد أصر أيان على رؤيتك. وهذه جزيرته، منزله، فكيف أمنع مجيئك دون اثارة شكوكه؟».

«هكذا اذن.. لقد كان أيان هو من جاء بي الى هنا..».

«ليس للسبب الذي قد تتصوريه، فلقد نسيت انه لم يعرفك.. لقد كان فضولياً هذا كل شيء.. ولأنه الآن قد ارضى فضوله.. فمقامرتي كسبت».

«مقامرتك؟».

«بالطبع.. كانت مقامرة للسماح لك بالمجيء الى هنا. كان يمكن ان تنتعش ذاكرته».

«وهكذا حصلت على ما اريد.. وكذلك جاك».

«وماذا اردت؟».

«لقد اخبرني جاك هذا الصباح، ما بينك وبينه انتهى. كنت اعرف انه سينتهي، فقد اكتشف حقيقتك».

«وما هي حقيقتي؟».

«ساقطة.. يا آنسة ماكولي.. شخص دون اخلاق او احترام للنفس.. شخص قد يعاشر اي رجل يظهر له اهتمامه..».

«انت كاذبة! فأنا لم اعاشر اي رجل سوى أيان وانت تعرفين هذا!».

«صحيح؟ واعتقد انك ستقولين لي ان اعصابك انهارت بسبب منعي اياك من رؤيته في المستشفى؟».

«بالطبع.. وانت تعرفين هذا!».

«انا امرأة.. واعرف عوارض هذا.. هناك نظرة معينة لدى المرأة التي تحس بالهجران..».

«ولكنك لم تشاهديني!».

«اوه.. بلى لقد شاهدتك. ولكنك لم تشاهديني».

وبدأت كارولين تحس بنفسها ترتجف، واحساس بالذعر يتملكها.. لا يمكن لها ان تنهار ثانية هنا.. ليس أمام المرأة..

وتابعت العجوز:

«لم اكن محتاجة لقول هذا لجاك. كان يكفي ان اقول له انك وأيان..».

«لا!».

واحست بالدموع تتدفق نحو عينيها، ولم تستطع منعها..

فقالت المرأة بقساوة:

«الدموع لن تثير اشفاقي عليك. فأنا مرتاحة لتخلص جاك منك.. انه ليس مثل أيان.. فقد كان أيان دائماً متهوراً.. مجنوناً! يلومني على ضعف ابيه. وجاك هو ابني... ابني الحقيقي.. انه هو من اهتم به.. ولا تظنين انني سعيدة في إذلال نفسي أمام أيان. اتظنين هذا؟ العيش معه هنا وعزلة نفسي عن العالم.. ولكن جاك بحاجة الى المال ليؤمن مستقبله».

«ولكن مستقبل جاك مؤمن.. انه طبيب».

«انه مجرد طبيب متمرن مقيم في مستشفى ثانوي. ولكن لديه كثير من الطموح. يريد ان يتخصص، يريد فتح عيادة خاصة به.. اما هنا او في مونريال».

«لماذا تقولين كل هذا لي؟ الا تخافين ان اخبر أيان؟».

فابتسمت بخبث:

«ومن يصدقك؟ لن يصدقك أيان. انه لا يذكرك.. وهل ستفضحين نفسك.. أتفضحين كيف هربت منه عندما اكتشفت انه أصبح مشلولاً؟».

«ولكنني لم اهرب منه؟».

«حاولي قول هذا له.. انه حساس جداً حول هذا»:

وحاولت كارولين ان تفكر.. ارادت ان تقول لهذه المرأة الشريرة انه يعرف من هي، وانه فضح محاولاتها الساذجة لخداعه. ولكن هذا يعني ان تخون ثقة أيان بالأشياء التي تعرفها عنه.. وبعدما عرفته منه الآن لا يمكنها فعل هذا.

وقالت السيدة كورتيس ببرود:

«اقترح ان نتفاهم! اردت توضيح موقفي وهكذا فعلت ومن الطبيعي ان لا تناقشي اي من هذا مع جاك. ستعودين معه الى كندا غداً.. وهذا سيكون نهاية ما بينكما».

«اتظنين نفسك ممسكة بكل الاوراق الرابحة، اليس كذلك؟».

«اعتقد هذا..».

- ١٠ -

ولفت انتباههما صوت محرك طائرة، فرفعت رأسها وتابعت:

«آه جيد.. هذه الهليوكوبتر قد وصلت. لو سمحت.. يجب ان اذهب لأتأكد من جهوز الغداء».

احست كارولين بالارهاق الجسدي والنفسي.. ما هذا الموقف الذي وجدت نفسها فيه! ماذا تستطيع ان تفعل؟ والاكثر أهمية.. ماذا يجب ان تفعل؟.

ودخلت الڤيلا متجهة الى غرفتها. كانت حزينة اكثر من اللازم. ولم تحس بأي شيء غير طبيعي الا بعد ان فتحت جواريرها.. فعرفت على الفور ان احداً عبث بها.. كل ثيابها اختفت، وعرفت السبب عندما شاهدت حقائبها قرب السرير. اذن

www.rewity.com مروريه

كل أشيائها قد وضعت في الحقائب. فالسيدة كورتيس لن تخاطر في تأخرها عن السفر صباحاً. كان هناك فقط ثوب سهرة واحد.

وهذا ما كانت كارولين بحاجة اليه.. ودون ان تدري السيدة كورتيس، كانت قد دفعت بكارولين كثيراً. منظر الحقائب المليئة كان يكفي لاعادة عقلها لها. فحتى هذه الحظات كانت مشوشة الأفكار، ممزقة بين ما اتهمها به أيان، ضعيفة بحاجتها لحمايته. وكارهة ان ترضخ لما يطلبه.. ولقد تبخرت كل شكوكها الآن.. ولسوف تخبره كل شيء. وماذا ستخسر، ما عدا، ربما ما تبقى من احترامها لنفسها.. ومن الافضل ان تخاطر بكل شيء وان تكون صادقة معه، من ان تهرب وتعيش قلقة ما تبقى من حياتها فذلك لن يكون خداعاً له.. بل خداعاً لنفسها.

تمكنت من تناول بعض طعام الغداء في وقت متأخر من بعد الظهر بالرغم من ان ثقتها بنفسها كانت تضعف. فقد مرت الساعات ومع انها صبرت، فلم يصل لا أيان وجاك.

واخيراً قالت لها كاترين انهما ذهبا مع المريض. وأضافت وهي تحضر لها بعض الشاي:

«آنسة ايڤا كانت متكدرة كثيراً لأن تذهب لوحدها الى المستشفى».

وهبطت معنوياتها للخبر. وتساءلت:

«ومتى سيعودان؟».

«لست ادري آنسة.. هل تريدين شيئاً تأكلينه؟».

«لا.. لا.. الشاي يكفي يا كاترين. سأكون على الشرفة».

حتى الآن لم تكن فكرت بما قد تفعله لو ان أيان لم يعد.. فقد لا تراه في الصباح فمن المفترض ان تسافر وجاك قبل موعد

الغداء. فأية فرصة لها بعد في الحديث مع أيان اذا كان جاك يلاحقها؟ وأيان يطالبها بالبقاء! ولكن الواضح ان احتياجات ايڤا تأتي في البداية.. وهذا مايجب ان يقنعها بشيء ما.

وخرجت السيدة كورتيس الى الشرفة وكارولين تحتسي ثاني فنجان شاي لها. فنظرت اليها كارولين بارتباك، ولكن المرأة لم يظهر عليها الاهتمام الكثير بها.. ورفعت نظرها الى السماء وقالت:

«لقد سمعت تحذيراً بعاصفة على الراديو. أتساءل متى يعود جاك!».

«وهل سيعودان الليلة اذا كان الطقس سيئاً».

«بالطبع جاك سيعود. لن يبقى بعيداً ليس والليلة آخر ليلة له معي.. اما أيان.. حسناً.. له قوانينه الخاصة فإذا احتاجته ايڤا فأتصور انه سيصر على البقاء معها».

وكان الريح الذي يهب من جهة الميناء قد اخذ يشتد يحرك مياه البركة ويحني أغصان الاشجار والازهار. وبدأت الغيوم السوداء تتجمع، وتساقطت اول قطرات مطر فوق الشرفة. وبدأ الشك يساور المرأتين بامكانية عودة الطائرة الليلة.

ومع ذلك فقد أصرت السيدة كورتيس بعصبية:

«لا يمكن لجاك ان يبقى بعيداً.. لا يستطيع.. لن يفعل!».

واندفعت كارولين تطمئنها:

«لا اظنه يريد. ولكنك لن ترغبي في مخاطرته بحياته ولا بحياة الطيار في العودة في هذا الطقس السيء، اليس كذلك؟».

«سيعود.. يجب ان يعود! يعرف كم اكره العواصف!».

«آه.. فهمت».

هذا شيء لم تفكر به فالسيدة بدت لها قوية، لا تقهر. ومن المستحيل ان تزعجها عاصفة صغيرة. وتابعت كارولين:

«لا تقلقي فأنا هنا، والعاصفة لا تخيفني».

فنظرت اليها السيدة كورتيس بازدراء وقالت مؤكدة بتصلب:

«سيكون جاك هنا».

ثم استدارت وعادت الى داخل غرفتها.

ودخلت كارولين غرفتها. وهناك جلست قرب النافذة تراقب السماء.. سيكون تغييراً جيداً لنفسيتها ان ترى المطر. فمرور العديد من الأيام دون شتاء قد يصبح ممِلاً. كان الوقت ظلاماً عندما سمعت صوت الهليوكوبتر. ولم تصدق في البداية، بل ظنت الصوت الرعد بعيد، ولكن باقتراب الصوت تأكدت انه الطائرة.

واحست فوراً بأعصابها تتوتر، هل عاد أيان؟ وهل ستتاح لها فرصة الحديث معه؟ ولكن لماذا تحس بكل هذا الاحباط؟ ووقفت عن مقعدها لتفتح الباب وتنزل.

وجدت رجلاً يقف في غرفة الجلوس فتوقفت عند الباب واستدار اليها.

«مرحباً.. أنا جايمس دانتون».

بدا من لهجته انه أميركي، ومدت يدها تصافح يده بابتسامة ترحيب:

«كيف حالك سيد دانتون.. اذن لقد تمكنت من الوصول».

«يا للجحيم.. اجل وما يجري هنا هو ذنب العاصفة آنسة..».

«ماكولي..».

«اهلاً آنسة ماكولي.. لقد واكبنا الحظ، اجل. بكل تأكيد. يبدو أن إعصاراً يشق طريقه الى الغرب من هنا.. ولكن ما ستحصل عليه هو مجرد ضربة خلفية منه».

«إعصار؟» قالت كارولين بذعر.

«الم تشاهدي اعصاراً من قبل آنسة ماكولي؟».

«لا.. وهل تأذى احد؟».

«لم يقتل احد، اذا كان هذا قصدك. ومن حسن الحظ أن الإعصار أنهى نفسه قبل وصوله الى ميامي».

«ومع ذلك فقد عدت الى هنا؟».

«لقد بدا لي السيد كورتيس متلهفاً للعودة، كان قلقاً عليكما. فقبلت ان أحضره، اذا عرض علي مكاناً أنام فيه».

وظهر جاك من الباب:

«هذا أقل شيء أفعله».

واستدارت كارولين اليه، انها المرة الاولى التي تراه بعد مواجهتهما المؤسفة الليلة السابقة. وحياها متوتراً:

«مرحباً كارولين. هل كان يومك جيداً؟».

«كان يوماً ثقيل الوطأة. كيف حال السيد درايدن؟ هل عادت ايفا معكم؟».

«جيفري سيكون بخير، لقد مرت به الازمة القلبية. وسيتخطاها. وقد يعاني من بعض الشلل. ولكن من رأيي انه سيتحسن».

وأجفلت كارولين من عدم اكتراثه.. انها تعرف انه لا يحب جيفري. ولكن تصرفه أزعجها:

«وايفا؟ هل ذهبت الى بيتها؟».

«لم تعد ايفا معنا. أرادت البقاء في المستشفى، فوفروا لها سريراً. وبقي أيان معها.. واظنه يعتقد انها تحتاجه. وقال لي أن اودعك عنه».

والتفت جاك الى الطيار:

«لن يتأخر العشاء يا جايمس».

وقدم الطعام بعد نصف ساعة. وترأست السيدة كورتيس المائدة مكان أيان. وكانت تتمتع بهذا الميزة غير المتوقعة بشكل ظاهر. بالرغم من كل ما حصل لم تستطع كارولين لوم جاك تماماً على سؤ تفهمه لموقفها. بل أدانت امه على تغذية وتشجيع كراهيته لها. واحست كارولين وكأنها تضرب رأسها في جدار صخري.

عند نهاية السهرة تقريباً أسقط جاك قنبلته.. وقال لكارولين، انه لن يرافقها الى مونريال.

«لقد أرسلت برقية بهذا الخصوص اليوم. فلا أظن ان من الانصاف ترك امي لوحدها في هذا الظرف.. وامي موافقة. وهذا أمر أكيد..!».

«الا تخشى ان تصرفك ادارة المستشفى من العمل؟ قد يرتابون بك بعد أن أمضيت اسبوعين في اجازة».

«لست أهتم.. فلقد سئمت العمل هناك.. وارحب جداً في بعض التغيير».

وكانت كارولين متأكدة انها تستطيع التأثير عليه لو أرادت. ولكنها لم تكن ترغب في ذلك، ولم تكن ترغب فيه، وبإمكان امه الاحتفاظ به. فهل يظن انه ببقاءه هنا واظهار اهتمامه بوالد ايفا قد

يقنع أخاه أيان يمول فتح عيادة له؟ الا يمكن الشك بأن مرض جيفري درايدن المفاجيء جعله يدرك انه اذا تزوج أيان من ايفا فستذهب كل احلامه أدراج الرياح؟».

وذهبت كارولين الى الفراش بعد ذلك بقليل.. كانت بحاجة للابتعاد عنهم. بعد أقل من أربع وعشرين ساعة.. ستكون على متن الطائرة متجهة الى مونريال.

المطار الدولي في عاصمة الباهاما ناسو، كان مكتظاً. وكان جايمس لطيفاً معها، ورافقها حتى مبنى المطار وتأكد بنفسه عدم وجود مشاكل أمامها قبل أن يتركها...

وشقت طريقها الى منطقة الجوازات عندما سمعت صوتاً غاضباً يناديها.. وظنت في البداية انها مخطئة، وان عذابها الداخلي قد اخترع صوتاً هلوسياً.. ولكن الألم على وجه أيان وهو يكافح كي يحافظ على توازنه لم يكن هلوسة.. من الواضح انه مستعجل، نظراً لانقطاع انفاسه.. واقترب منها ليتمتم:

«اللعنة عليك يا كارولين! الا يمكنك السماح لي بأن احتفظ بالقليل من الاحترام لنفسي مما تبقى لدي!».

وتراجعت كارولين وقد ألمتها المرارة في صوته، ومنعتها قبضته القوية من الابتعاد عنه وتابع:

«ماذا تفعلين بحق الجحيم؟ طلبت منك عدم السفر.. فهل كثيراً ان أطلب منك اعطائي ما قد يكون فرصة لتبرير نفسي؟».

«لست ادري عما تتكلم.. فأنت تعرف اننا.. انني مسافرة اليوم.. حتى انك ودعتني».

«لقد طلبت منك البقاء.. وهل نسيت ما قلته لك بالأمس؟».

«قلت اننا سنتحدث».

«ولكنك بقيت مع ايفا في المستشفى. وطلبت من جاك أن يودعني عنك..».

«ماذا طلبت؟ انه يعرف تماماً ما قلته له. ووداعك لم يكن من بين ما قلته له!».

«ولكن.. لماذا قد يكذب؟».

«استطيع قول نصف دزينة من الاسباب.. هيا بنا.. لن نستطيع الكلام هنا.. معي سيارة تاكسي تنتظر.. سنعود الى ناسو».

«ولكنني لن أستطيع.. حقائبي.. أيان طائرتي ترحل بعد أقل من ساعة. ولا أستطيع مغادرة المطار».

«اذن لقد أصبحت حقائبك في الطائرة. لا بأس بامكانهم اعادتها من مونريال اعطني دقائق لأتكلم مع المضيفات..».

«ولكن لن يكون هناك رحلة حتى الغد!».

«ولن تأخذيها كذلك».

- ١١ -

وعاد اليها بعد دقائق.. يبدو عليه التعب.. وخطوط الارهاق حول فمه..

«سنستلم حقائبك في الغد.. أما الآن فلدينا ما هو أهم».

«وهل لدينا ما هو أهم؟».

ولكنه لم يرد، بل جرها الى السيارة المتوقفة في الخارج ليقول للسائق بعد دخولها:

«انت تعرف الى أين يا جورج. وذكرني انني مدين لك لتوصيلي في الوقت المناسب. والآن اسرع قليلا».

«حاضر سيد فيتزوري. اترك الامر لي».

والتفت أيان اليها:

«هل تعلمين انني أمضيت الساعات الثلاث الاخيرة أبحث عنك؟».

www.rewity.com مـرمـوريـة

«ثلاث ساعات؟ ولكنك كنت في المستشفى..».

«بل أمضيت الليل هناك.. وعدت الى الجزيرة في الصباح.. في الطائرة التي كان يفترض ان تقلك وجاك الى هنا».

«ولكنني غادرت بطائرة الهليوكوبتر..».

«أعرف هذا الآن».

«الم يقل لك جاك شيئاً عن سفري بعد ظهر الأمس..».

«وهل نسيت انك بالنسبة لي لم تكوني ستسافرين».

«ولكن لا بد انك كنت تعلم..».

«لا أعلم شيئاً.. وآخر شيء كنت أتوقعه هو ان تتخلي عني مرة اخرى».

«لم أكن أتخلى عنك!».

«وماذا تسمين هذا؟».

«انت مع ايفا.. اوه.. لقد ظننت..».

«لقد قلت لك على اليخت.. انا وايفا لا نعني اي شيء لبعضنا. كارولين.. ايفا ستتزوج من روب تاكري، شريكي الطيار. انا وهي كنا مجرد أصدقاء».

«ولكنك قلت ليلة كانت مدعوة الى العشاء مع والدها، انها تخطط للزواج منك».

«لا.. بل انت من افترضت هذا. انا لن أنكر انني تركتك لهذا الاعتقاد. كنت اريد معاقبتك».

«على الأقل.. قل لي.. ماذا تريد مني؟».

وأحست بالخوف من تعابير وجهه، ولكنه بتنهيدة عميقة ضمها بين ذراعيه. وتمتم بخشونه:

«وماذا تظنين انني اريد منك؟ يا الهي كارولين.. أحبك واريد

العيش معك لما تبقى من حياتي.. اذا كان بامكانك تحمل هذا».

«اذا استطعت..».

ولكن ضغط ذراعيه الجائعتين عليها اصمتها.. وعانقها أيان بكل الشوق الطبيعي الذي حرم منه طوال ثلاث سنوات. واخذت يداه تضغطان على خصرها وظهرها، لتحس تماماً بما يحس به.

«هل اكتفيت..؟».

«ليس تماماً».

وجذبته ثانية اليها.. فقال متجهماً وهو يتطلع من نوافذ السيارة:

«فيما بعد.. أهذه هي كل السرعة التي بامكانك يا جورج؟».

«هناك حدود للسرعة يا سيد فيتزوري».

ويقلقها لانتهاء الرحلة أصبحت كارولين مضطربة وأعصابها متوترة. وعندما فتح موظف الاستقبال باب السيارة أمام الفندق قفزت منه بسرعة.

ولكن عندما فتح الموظف الباب، أدركت انهما قد أخذا جناحاً، اناقته وفخامته كادت تقطع أنفاسها. واستدارت الى أيان:

«انها جميلة. لا استطيع التصديق انني هنا!».

«انها ملائمة.. والمدير صديقي».

«هذه غرفة نوم، وفيها حمام. واذا كنت لا تمانعين. سآخذ حماماً. لم يكن لدي الوقت سوى لغسل وجهي وحلق ذقني في سوليتير.. حتى انني لم اغير ثيابي».

«لا بأس.. وهل هناك ما استطيع مساعدتك به؟».

«لا! استريحي انت!».

ودخلت غرفة النوم.. ولدهشتها شاهدت بدلة سوداء على الفراش، مع قميص رسمي أبيض.. وبدأت تخطو نحو الحمام.

كان الحمام مثله مثل باقي الجناح، في وسطه مغطس مليء بالماء والصابون. أيان في وسطه وظهره الى الباب وكان ينظف ساعديه بالصابون، فلم يلاحظ تقدمها عارية القدمين نحوه.

واستدار فجأة في المغطس الكبير ليواجهها بعينين غاضبتين. ولكن حبها له كان يمنعها من ان يصدها مهما قال. وسارعت لتقول له:

«انه مكان جميل.. أظنك أقمت فيه من قبل.. لم تقل لي هذا».

«من المفيد أن يحتفظ المرء بمكان خاص به. واعتقدت انك ستفضلين هذا المكان على العودة الى الڤيلا حالاً. ولكن اذا كنت تفضلين...».

«لا.. لا! ليس الى سوليتير».

وضاقت عيناه للمعاني التي يتضمنها احتجاجها وتمتم:

«لن أتأخر.. وسنتكلم فيما بعد. هناك الكثير للبحث.. والكثير للشرح».

«أتريدني أن أخرج.. ام تريدني ان أساعدك؟ استطيع تنظيف ظهرك اذا احببت. فأنا بارعة في الحمام.. او على الاقل هذا ما يقوله لي توأم اختي اليان».

«أتعني انك بارعة بتحميم الاطفال؟».

«لا.. فتوأم اختي في السابعة من عمرهما، وهما قادران تماماً على الاعتناء بنفسيهما.. ونحن نلهو معاً.. لماذا لا تريدني ان أساعدك، أيان؟ احبك، فلا تبعدني عنك».

«حتى وأنا هكذا؟ وعلى الرغم من معرفتك بعجزي؟ اوه كارولين.. لو انني فقط لم أكن غبياً الى هذا الحد!».

«أوافق معك.. ولكن لا تكن غبياً الآن! الا تدري انني أنت من أهتم به؟ الرجل الذي أنت هو؟ وليس الجسد الذي يصور وجودك!».

وتقدم اليها ليدفن وجهه بيديها التي مدتهما له وتمتم والعذاب ظاهر في صوته:

«لا أستطيع تركك.. لا أستطيع! فبدونك، تصبح حياتي نصف حياة. ولم أعد أتحمل أكثر من هذا».

«لا أريدك ان تتحمل اكثر.. اريدك ان تتحملني! وليشهد الله علي.. ما من أحد غيرك لمسني...».

وقال وهو يمد يده الى منشفته ويلفها حوله:

«انا لست مشلولاً.. اعطني ذلك الروب.. ولنقل ما يجب ان يقال قبل ان نتمادى اكثر من هذا».

وخرجت الى غرفة النوم اطاعة لطلبه. ولحق بها ببطء، ليصل الى السرير بصعوبة ظاهرة وبلهفة أوقفته هناك:

«لماذا لا نبقى هنا؟ بامكانك الاسترخاء في السرير ونتحدث.. هه؟».

«حسناً.. أعترف بأنني تعب. ولكن هذا بسبب انني لم أنم ليلة أمس».

«الم تنم؟ اوه.. لم أسألك.. كيف حال السيد درايدن؟ لقد نسيته».

«انه رجل مريض.. وهو يعرف هذا منذ مدة».

«ظننت ان نوبة قلبية أصابته».

«صحيح . . ولكني لم أعني ذلك. جيفري مصاب بالسرطان منذ خمس سنوات. ويعلم انه سيموت، ولا يهتم متى سيموت».

«والآن؟».

«الآن بعد ان اجتمع روب وايڤا معاً. . أتذكرين تلك الرحلة الى فيلدلفيا؟ صحيح انه كان لدي اجتماعات ولكنها كانت أساساً فرصة لروب وايڤا لمقابلة بعضهما. . بعيداً عن الجزيرة. وأظنك نظرت الى الأمر بشكل مختلف».

«انت تعرف هذا. . واردت ان تشعرني بالغيرة!».

«وهل نجحت؟. . كارولين. . يجب ان نتحدث، وبعد ان تتكلمي عن كل شيء. . .».

«وهل هناك شيء يزعجك؟».

«لقد استعاد جيفري وعيه، ولكنه ضعيف جداً. والأطباء ليسوا متفائلين. ولهذا بقيت مع ايڤا ليلة أمس، فقد كان روب غائباً فلم أتمكن من تركها».

«أفهم هذا. . وأنا آسفة. . لقد جعلني جاك أعتقد. . .».

«سنتحدث عن جاك بعد قليل. . ولكن هناك شيء اود أن أقوله لك اولاً. ما من شك أن أمي كانت سبب ابتعادك عن المستشفى ليلة الحادثة».

«صحيح؟».

«اجل. فهل تسامحيني؟».

«بالطبع. . وكيف اكتشفت الامر؟ ليس من جاك! أظن انه لم يكن يعلم».

«وأنا متأكد انه لم يكن يعلم. هل لك ان تعطيني بنطلوني الجينز هذا؟».

«بالطبع تفضل».

وعادت الى جانبه، فابتسم وأخرج من جيب البنطلون ورقة مطوية:

«انظري الى هذه. . وقولي لي رأيك».

وفتحت كارولين الورقة. . وظهرت لها صورتها، برسم رصاصي أنيق. . يبرز جمال قسمات وجهها. وكانت أثمن شيء تحصل عليه. . هدية حب من أيان.

«انها أنت. . وهذا يثبت انك لم تخرجي من تفكيري ابداً».

وبرز ما في قلبها من عينيها:

«اوه يا أيان».

«على ان أخبرك. . فهذا الرسم الصغير هو الاثبات ان أمي هي وراء كل ما جرى».

«صحيح؟».

«اجل. بعد ظهر الامس، وخلال الحديث بيني وبين جاك، اعترف لي ان امه قالت له انها شاهدتك من قبل، في رسم لي في المرسم. حسناً لا يمكن هذا. فحتى ساعة رسم هذه الصورة، والتي رسمتها ليلة امس، لم يكن لدي صورة لك».

«ولكن لا بد انك رسمتني».

«عشرات المرات. ورسمت لوحة لك مرتين على الأقل. . ولكنني كنت احرقها كلها، حال ان تنتهي».

«أيان!».

«تصوري، اذا استطعت، كيف كانت مشاعري. . فحسب ما أعرف، انت لم تزعجي نفسك بزيارتي! وكانت معنوياتي محبطة ومشلول، والشخص الوحيد الذي أهتم به هرب مني. . هذا ما

كنت اعتقد. وعندما علمت انك دخلت المستشفى لإنهيار عصبي».

«وكيف عرفت.. امك لم..».

«لم تقل لي.. ولكنني عرفت بواسطة مخبر خاص استأجرته ليجدك. ولكنه لم يجدك».

«اوه يا أيان.. ماذا ظننت بي؟».

«تعرفين تماماً ما ظننت. هروبك الواضح مما حصل لي.. جعلني أعتقد انك سافرت.. ولن أتمكن من ايجادك. وكان معي الحق بأن تختفي».

«ولكنك لم تفهم هكذا. فأنا لم أهرب منك، على الاقل ليس كما تتصور. هل سمعت بمكان يدعى مؤسسة هايدنغ؟».

«لا اظن.. لماذا؟ هل هو مستشفى؟».

«انه مستشفى أمراض عصبية. لقد أمضيت ستة اشهر هناك».

«يا الهي ولماذا؟».

«لقد اصبت كما تعلم بانهيار عصبي.. ولم أعد استطيع الأكل ولا النوم، ولا الكلام.. وكان انهياراً كاملاً.. فهل لهذه المعلومات فرق الآن؟».

«بالطبع.. فرق كبير! اوه كارولين..! لو انني كنت أعلم!».

وضمها بين ذراعيه وتابع:

«يا حبيبتي.. كنت أتخلى عن كل شيء لمجرد أن اجدك ونبدأ من جديد.. ولكنني اعدك ان هذا لن يحدث من جديد يا الهي.. يمكن ان أقتل أمي لما فعلته بنا. ولكنني على الاقل اعرف لماذا فعلت هذا.. ولكن الله يعلم انه ليس عذراً».

«طالما اننا الآن معاً، لم يعد الأمر يهم.. همم يا حبيبي

رائحتك لذيذة».

«لو انك اخبرتني عن حالتك. بدل التظاهر بأنك هجرتني».

«ولكنني لم أهجرك!».

«ليس بمعنى الكلمة، ربما، ولكنني فهمت هكذا. قلت لي قبل الحادثة انك تريدينا ان نلتزم ببعضنا، اما الزواج او لا شيء. وانا الغبي الذي كنته، كنت انظر الى الزواج عبر الجحيم الذي عاشه أبي».

«ولماذا لم تقل لي هذا؟ بدل ان تغضب كما حصل!».

«اعتقد انه كان نوعاً من السخط اكثر من الغضب.. فما كنت تحاولين ربطي به لم يرق لي، لم أكن متعود عليه، لذلك تمردت».

«وبماذا تحدثت الى جاك يوم امس..».

«اوه حسناً.. قلت له انك لن تسافري معه.. وكنت سأعترف له اننا نعرف بعضنا، واننا اذا قبلت بي سنتزوج».

«ولكنك قلت..».

«اعرف ما قلته.. ولكن في أحداث ذلك اليوم الرهيب أدركت ان علي ان احصل عليك. مهما فعلت لي».

«انا وجاك لم نحب بعضنا ابداً».

«اعرف هذا، عرفته من مدى تجاوبك معي ونحن فوق اليخت. عرفت ان ما من رجل لمسك. ولكنني كنت اريد ان اؤلمك كما كنت تنوين ايلامي».

«ولكنك انت من دعوتني للمجيء».

«اجل.. ولم تكن أمي راضية.. ولكنني كنت انوي رؤيتك فقد قلبت الارض عليك».

«وعندما رأيتني؟».

«وقعت في حبك من جديد».

«يا لأيان المسكين!».

«بل المسكين هو جاك. فقد فعل هو وامه المستحيل لتدمير حياتي».

«وهل اخبرته.. كل شيء؟».

«بقدر ما هو ضروري ليفهم انني اعني ما أقول. واظن انني حددت له توقعاته.. وانت تعلمين ان كل همه كان المال..».

«انه يريد التخصص».

«هكذا قال، ولكن للأسف لا اظن ان لديه المقدرة».

«ولكنني لا افهم لماذا كرهتني امك هكذا».

«لا بد انها اعتبرتك تهديداً لطموحاتها، وكنت أنا مريضاً جداً وربما أموت فتصوري كم كانت شعرت بالاحباط لو انني أصريت على فراش الموت ان اتمم مراسم الزواج».

«أيان!».

«حسناً.. أنا محق. اليس كذلك؟».

«ولكن لماذا دفعني جاك للسفر، بعد الذي قلته له؟».

«آه.. هذا كان الهجوم الاخير. ولا بد ان له علاقة بواقع انني لم أتجاوب مع ابتزازه لي».

«ابتزاز! اتعني ابتزاز المال؟ وكيف يمكن ان يفعل هذا؟».

«لم يتمكن، مع انه حاول. ولكنني لم اكن مهتماً بتهديداته بأن يفضح حالتي.. علناً.. كنت اعرف ما هي فكرتهما طوال الوقت. ويؤلمني ان اقول هذا، ولكن قد يكونا على حق. وكان افتراضاً معقولاً انني قد لا اشفى.. الى ان عرفت ان جاك يتواعد

معك فصممت ان أحسن حالتي واستعيد عافيتي. ولكن كما ترين، لم يكن النجاح كاملاً».

«ولكن هذا يكفيني. وماذا ستفعل معهما الآن؟».

«لست ادري! وماذا استطيع ان افعل؟».

«جاك لم يعد معي.. كما تعرف.. ربما عليه ان يبقى مع امه فهما يعتمدان على بعضهما كثيراً».

«وهل علي ان أساعده في تأسيس عيادته؟ فهذه طريقة جيدة للتأكد من مغادرة امي للفيلا.. ولكنني اشفق على مرضاه المساكين.. هذا كل شيء».

«الم يكن لديه الوقت للإشراف على السيد درايدن!».

«اعلمي.. لم يتفحصه مطلقاً. ولذلك لم يعرف بالسرطان الذي معه. وكل ما كان يراه فيه هو انهما عالة علي.. لو انه كان يعلم، لقد كانا حبل النجاة لي.. الاصدقاء الوحيدون لي».

«انا صديقتك الآن.. هل انتهى الكلام؟».

«شيء واحد وأخير. لماذا جئت الى منزلي؟ هل كان ذلك لأجل الانتقام؟».

«لا استطيع انكار رغبة محددة لرؤيتك تتألم عندما تراني وجاك معاً. ولكن الامور لم تجري هكذا.. اليس كذلك؟».

«وكيف جرت اذن؟».

وحاول ازاحة ياقة الفستان حتى كتفها:

«اللعنة.. قد امزق هذا الفستان.. ولكن لا بأس سأشتري لك غيره، بل دزينة».

«انت متوحش. أنت تعلم كيف جرت الامور.. لقد احسست بالغيرة كما أي امرأة يحتقرها الرجل الذي تحبه».

«يحتقرها؟ اوه.. كارولين.. لو انك كنت تعرفي! ليس لديك فكرة عما أحسست به وانا اتظاهر بعدم الاكتراث. وتلك الليلة التي جئت فيها الى غرفتك.. عانيت الامرين من تجاهلي لك».

«صحيح؟».

واستدار اليها ليحيطها بذراعيه ثانية فقالت:

«اوه أيان.. ظننتك تعباً!».

فقال وهو يمرر يديه فوقها:

«بامكاني النوم فيما بعد. اما الآن فلدينا الوقت الكثير لنعوض عما فاتنا».

ولم تستطع سوى ان توافق.

www.rewity.com